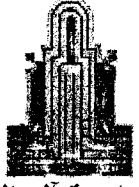


بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم
قسم اللغة العربية

صورة الجحيم في القرآن الكريم

The Depiction of Hell In The Holy Quran

إعداد :

خالد موسى حسين الزعبي

إشراف :

د . حسين كتانه

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

٢٠٠٥

صورة الجحيم في القرآن الكريم

The Depiction of Hell in The Holy Quran

إعداد:

خالد موسى حسين الزعبي

إشراف :

د . حسين كتانه

أعضاء لجنة المناقشة

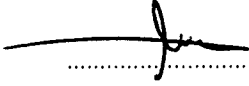
١ - د. حسين كتانه

٢ - د. محمد العبسي

٣ - د. سعيد أبو خضر

٤ - د. عودة أبو عودة

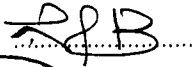
التوقيع



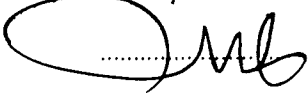
مشرفاً ورئيساً



عضواً



عضواً



عضواً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في

في كلية / معهد في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصي بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ :

صورة الجحيم في القرآن الكريم

إعداد :

خالد موسى حسين الزعبي

إشراف:

د. حسين كتانة

ملخص الرسالة

- هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى ظاهرة التصوير الفني في القرآن الكريم من خلال صورة الجحيم ، والوقوف على أنواعها وألوانها وأنماطها .
- وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة فصول :
- الفصل الأول ، يتحدث عن ظاهرة التصوير في القرآن الكريم ، وعنوانه : (الصورة ودلالة الجحيم) وينقسم إلى أربعة مباحث على النحو التالي :
- الصورة عند القدماء : تناولت فيه مفهوم الصورة عند النقاد القدماء ، وأشارت إلى أول ورود للفظ الصورة عند القدماء في المصادر القديمة .
 - الصورة عند المحدثين : درست فيه مفهوم الصورة عند النقاد المحدثين من العرب والغربيين ، مع بيان أكثر المناهج تناولاً لدراسة الصورة .
 - أهمية الصورة : أوضحت فيه أهمية الصورة في الأعمال الأدبية عامة وفي القرآن الكريم خاصة .
 - الجحيم ودلالاتها ، أشارت فيه إلى دلالة الجحيم في المعاجم القديمة ، مع بيان عذاب الجحيم وشدته موازنةً مع أنواع العذاب الأخرى في الآخرة .
- الفصل الثاني ، أشارت فيه إلى أن هناك مكونات لكل صورة فنية حتى تظهر بالمستوى المطلوب ، وكان بعنوان : (مكونات الصورة الموضوعية) وينقسم إلى مبحثين هما :-
- الحوار ، أوضحت فيه مفهوم الحوار وأطراف المتحاورين مع طبيعة ذلك الحوار .
 - العذاب ، تناولت فيه نوعين من العذاب (العذاب الجسدي والعذاب النفسي) .

أما الفصل الثالث والأخير ، فقد انفرد بالسّمات الفنية والإيقاعية ضمن صورة الجحيم ، وقد كان بعنوان (أسلوب البناء اللغوي والإيقاعي في صورة الجحيم) ، وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ، هي :

– اللفظ والسياق ، وقد تحدثت فيه عن تناسب اللفظ مع المعنى ، مع الأخذ بعين الاعتبار ، تناسق الألفاظ مع بعضها لتكوين السياق .

– أنماط التركيب ، وقد تناولت فيه السمات الفنية في صورة الجحيم من حذف وتعريف وتذكير ووظائف الجمل الاسمية والفعلية ... الخ .

– الإيقاع ، فقد قمت بتعريف الإيقاع ، ثم تحدثت عن الفاصلة القرآنية والإيقاع في آيات الجحيم ، مع التفريق في الإيقاع بين مشاهد الجنة ومشاهد الجحيم .

ثم أنهيت البحث بخاتمة ، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها ، أجملها فيما يأتي :-
أولاً : قصور بعض الدراسات قديماً وحديثاً على تناول كل صورة على حدة ، إلا ما جاء جزءاً من موضوع عام .

ثانياً : إن التصوير في القرآن ظاهرة واضحة ، إلا أنه تصوير يظهر بألفاظ قليلة دالة وموحية .

ثالثاً : إن التصوير في القرآن الكريم عنصر مهم لتقريب المعنى .

رابعاً : إن التصوير في القرآن الكريم جاء لأهداف سامية ، ومقاصد بليغة ، واشتمل على أسرار ودقائق ، تترك في النفس مجالاً لمحاولة قراءات جديدة .

خامساً : إن الأسلوب الذي انتهجه القرآن في الصورة ، يحوي مادة لغوية ذات طاقة إيحائية ، ربما يعجز الإنسان عن إدراكها بشكل مكتمل .

سادساً : يُعد الإيقاع الموسيقي من العناصر المهمة التي تؤثر بالمتلقي من حيث الشدة واللين والإطالة والقصر .

الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله

وفاءً لذكراه وعرفاناً بحقه

إلى والدي

إلى إخوتي

إلى زوجتي وأبنائي

إلى أصدقائي

أهدي باكورة أعمالتي

شكر وتقدير :

أحمدك اللهم حمداً كثيراً ، يليق بجمال وجهك وعظيم سلطانك ، وألتمس منك عفوك ورضاك ، واستعين بك ، وأصلي على خير خلقك وأسلمُ تسليماً .
وبعد ، فيطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل :
الدكتور حسين كتانه الذي أشرف على هذه الرسالة ، وفتح لي مكتبه منذ اللحظة الأولى لتسجيلي هذا البحث رسمياً حتى استوى على سوقه ، فوجدت منه كل تشجيع ورعاية ومتابعة مستمرة ، وللحق أقول ، إن ما قدمه الأستاذ قلماً يبذله مشرف مع طالب، وقد تجسد هذا بالتوجيهات السديدة والاقتراحات المفيدة .

كما أتقدم بجزيل الشكر للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الكرام

د . عودة أبو عودة

د . سعيد أبو خضر

د . محمد العبسي

على ما أمضوه من وقت في قراءة هذا البحث وعلى ملحوظاتهم التي ستسهم في تطويره . كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية بجامعة آل البيت ، وأخص بالشكر الشديد الدكتور عبد الباسط مرشدة .

وأقدم بالشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة لإنجاز هذا العمل ، وأخص

بالشكر الصديق الدكتور حسين جداونة .

فإلى هؤلاء جميعاً أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم ، فجزاهم الله عني كل

خير .

الباحث

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
.....	
.....	
التمهيد	١
الفصل الأول : الصورة الفنية ودلالة الجحيم	
— الصورة عند النقاد القدامى	١٣
— الصورة عند النقاد المحدثين	١٧
— أهمية الصورة	٢٢
— الجحيم ودلالته	٢٥
الفصل الثاني : — مكونات الصورة الموضوعية	٣٤
— الحوار	٣٤
— أنواع العذاب	٤١
أ — العذاب الحسي	٤١
ب — العذاب النفسي	٤٧
الفصل الثالث : أسلوب البناء اللغوي والإيقاع في صورة الجحيم : —	٥٣
أ — اللفظ والسياق	٥٣
ب — أنماط التركيب	٦٢
— الحذف	٦٢
— التعريف والتكبير	٦٦
— الجملة الاسمية والجملة الفعلية	٧٠

ح

٧٩

— الالتفات

٨١

ج — الإيقاع

٨٩

الخاتمة

٩٢

المراجع والمصادر

٩٧

جدول بالآيات الواردة في البحث

١٠٩

جدول بالأحاديث الشريفة الواردة في البحث

١١١

الملخص باللغة الإنجليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

لم تكن لفظة الصورة من ابتكار العقل الإنساني ، وإن أجاد في الكتابة حولها كثير من النقاد القدماء والمحدثين ، بعدما وجدت في أقوال كثير من الشعراء ، ابتداءً من العصر الجاهلي انتهاءً بالعصر الحديث ، إلا أن هذه اللفظة قد وضعت لها الأطر والقياسات ، وصارت تتمحور حولها الدراسات بعد أن تمثلت في آيات القرآن الكريم ، فقد وردت لفظة الصورة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الانفطار ، يقول تعالى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (١) ، وورد لفظ صورة مجموعاً مرتين ، يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوْرَكُمْ فَآخَسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمِ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) .

أما ورود المعنى بلفظ الفعل الماضي ، فقد جاء في ثلاث آيات ، يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٤) ، ويقول تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمِ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) ، ويقول تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

١ - الانفطار : ٨

٢ - غافر : ٦٤

٣ - التغابن : ٣

٤ - الأعراف : ١١

٥ - غافر : ٦٤

صَوَّرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ ، وكذلك وردت بصيغة الفعل المضارع ، يقول تعالى : ﴿هُوَ
الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ، وجاءت
بصيغة أسم الفاعل في آية واحدة : يقول تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ .

مما سبق نلاحظ أن الصورة قد جاءت بعدة أنماط ، حسب ما يقتضيه السياق ، تحديداً باللفظة
كما هي وانتهاءً باسم الفاعل .

ومع ورود معنى الصورة كما هو لفظاً في آيات القرآن الكريم ، وقصد بها الإنسان ، إلا أن
هناك ما جاء في القرآن الكريم بشكل الصورة دون ذكر اللفظة مباشرة ، وهذا ما يُطلق عليه اسم
التصوير ، فقد حمل معنى التصوير كل المكونات الأساسية لبروز الصورة بكل تجلياتها دون
ذكر اللفظة مباشرة ، وهذا ما سيكون موضع البحث بعون الله تعالى .

لكن الدراسات الحديثة لم تتناول الصور في القرآن الكريم بأسلوب جزئي ، أي كل صورة على
حده ، إلا ما جاء ضمن موضوع عام ، ونذكر على سبيل المثال من الدراسات الحديثة ، كتب سيد
قطب (في ظلال القرآن ، والتصوير الفني في القرآن ، ومشاهد يوم القيامة) وكتاب حامد
صادق قنبيبي (المشاهد في القرآن الكريم) ، فهذه الكتب قد تناولت التصوير بشكل عام ولم يكن
هناك أي دراسة تختص بصورة معينة .

وهذا مما دعا الباحث إلى اختيار صورة الجحيم موضوعاً للبحث ، يتناول من خلاله جمالية
التصوير في القرآن الكريم ، ملقياً الضوء على الصور الجزئية والكلية . وفي بيان جمالية
التصوير القرآني ، اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لبيان تجليات النص القرآني ، حيث
اعتمد على تتبع الآيات المتشابهة في المعنى واللفظ لتكوين الفكرة العامة ، وتحليلها تحليلاً كاملاً
لإبراز جمال الصورة ، ولم يتجاهل الباحث المنهج النفسي الذي يؤسس العلاقات الداخلية
للصورة .

١ - التغابن : ٣

٢ - آل عمران : ٦

٣ - الحشر : ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

لعل الدراسات القرآنية من أفضل الدراسات ، تتنوع مقاصدها وتتعدد جوانبها ، فكل باحث يجد فيها ما يصبو إليه من علوم ، فمن الباحثين من يتناول القرآن الكريم دراسة أدبية ، ومنهم من يتناوله دراسة بلاغية ، ومنهم من يدرسه دراسة تشريعية ، وآخرون يبحثون في أماكن وأوقات نزوله ، وهناك دراسات تجمع غرضين أو أكثر معاً ، ... الخ

أما في مجال البحث ، فإنني لا أجد دراسات مختصة في موضوع التصوير القرآني ، وخاصة في الدراسات القديمة ، إلا ما جاء عرضاً بين كتاباتهم ، أما الكتاب المحدثون فقد تعرّضوا لقضية التصوير بشكل عام وخاصة في الشعر ، ولم يدرسوا صورة الجحيم بصورة خاصة ولم يفرّدوا لها مؤلفات تتناول الموضوع بحد ذاته ، أما الدراسات العامة للتصوير القرآني فنذكر منها — فيما أعلم — سيد قطب في كتبه : (في ظلال القرآن والتصوير الفني في القرآن ومشاهد يوم القيامة) و حامد صادق قنبيبي في رسالة الدكتوراه : (المشاهد في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية وصفية) . إلا أن الدراسات الأنفة الذكر لا تغني عن موضوع هذا البحث ، لأن القرآن الكريم غني بإعجازه وعلومه ، ويُعدُّ مصدراً للباحثين في مجالات الأدب والعلوم ، يُستضاء بنوره إلى قيام الساعة .

ويعود سبب اختياري لهذا الجانب إلى أن القرآن يزخر بجمالية التصوير ، ودقة المعاني ، ووفرة الأبعاد الفنية فيه ، مما قد يمنحنا نتائج جديدة ، بما يرافق ذلك من اكتشاف لبعض أسرار القرآن إن أمكن من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن البحث سيتعرف إلى بعض الصور الجمالية ، ولا سيما في موضوع البحث ، وكيف ألبس القرآن الكريم تلك الصور لباساً أدبياً شفافاً ، فظهرت بوساطته بمنظر جميل جذاب ، حيث يستطيع المتلقي فهمه بكل يسر وسهولة ، إلا أنه يصعب عليه مجاراته ، أو الإتيان بمثله .

ويعُدُّ التصوير أسلوباً من الأساليب المثلى الكثيرة في القرآن ، ونقصد به تحويل المفردات اللغوية من الجمود المتمثل بمعناها المعجمي إلى الانطلاق في فضاء رحب بما تحمل من معانٍ جديدة وأفكار عظيمة ، واللغة القرآنية فيها مرونة تقبل كل شيء وتخزنه ليصبح ضمن معطياتها ، وكذلك فإنها تجمع بين الشكل الألفاظ والمضمون المعاني ، وما يصاحب ذلك من حركة ولون وموسيقى ذات إيقاعات تتناسب مع المشاهد المعروضة ، وهو ذلك الأسلوب الذي يخرج بالصورة من الأمور غير المرئية وغير المحسوسة إلى مشاهد مرئية محسوسة ، باستخدام بعض الأنواع البلاغية مثل التشبيه والتمثيل ... الخ .

ومن أجل أن يقوم التصوير بدوره على أكمل وجه ، لابد أن يسير في أحد اتجاهين :

الاتجاه الأول ، هو الأسلوب البياني أو البلاغي القائم على التشبيه والمجاز والاستعارة والمبالغة ونحو ذلك ، وهذا النوع لا يشترط فيه أن تكون له دلالة حرفية ، أو يكون له واقع حسي في جميع عناصره ، لان الغرض منه المبالغة ، وقوة التأثير في النفس ، والاعتماد على ما ألف العرب مما يبعث قوة الانفعال ، وإدراك المراد في قوة وجمال .

أما الاتجاه الثاني : فهو القائم على إظهار صور معينة دون تمثيلها أو تشبيهها ، حيث نلتمس للصور ثلاثة جوانب ، هذه الجوانب جميعها لها دور مهم في سبك الصور وتوضيحها للمتلقي : الجانب الأول : فيتمثل في كيفية صياغة تلك الصور في عمل أدبي يزخر بالكثير من الانطباعات التي تكون بين طياتها إثارة للمتلقي ، فيسمو في رحابها الخيال ، من أجل التماس أفاق الصورة وأبعادها .

أما الجانب الثاني : فيتمثل في دراسة طبيعة الصورة ذاتها ، باعتبارها نوعاً وجد لبيان الغرض الذي أراده المعنى ، وذلك بالتعبير عنه بعبارات دالة ، وبألفاظ تؤدي الغرض بكامل دون نقصان .

أما الجانب الثالث : فهي الفكرة التي تريد أن تؤديها الصورة وإيصالها للمتلقي .

وباجتماع الجوانب الثلاثة الأنفة الذكر ، تكون الصورة قد خرجت في أوضح معنى وأجمل لفظ .

إن هذه الجوانب الثلاثة مجتمعة ، تثير مشاعر الملتقي ، وتنسج عنده صورة ذهنية في مخيلته ، حيث تنقله من فكرة معنوية ذهنية إلى صورة حسية مرئية ، أو تنقله من صورة حسية إلى أخرى أشد من الأولى تأثيراً .

إذن ، فالتصوير الفني هو الطريق الذي بوساطته نستطيع أن نعرف إلى بعض الصور التي

لا ندركها ، أو التي لم نكن يوماً نتخيلها ، من أجل مساعدتنا للوصول إلى المضمون ، ولتقريب المعنى المراد فهمه ، من خلال المشهد المراد مشاهدته ، فهو يأخذنا إلى عالم مجهول ، مليء بحوادث وأهوال ، يرسمه بواقعه ومجرباته ، فيصبح أمامنا مشهداً منظوراً ومنظراً مشهوداً، بما يضيفي عليه من لون وحركة وموسيقى ، حتى يستدركها العقل وتتقبلها النفس ، ويخضع لأهوالها القلب .

والخصائص الفنية التي يتميز بها التصوير القرآني كثيرة ، ولكن - إن شاء الله - أذكر بعضها مما قد ورد في مشاهد الجحيم .

نلاحظ إن أي تصوير إنساني سواء أكان تصوير أديب أم شاعر الخ ، يريد أن يعبر عن موضوع معين ، أو أن ينظم قصيدة معينة ، فإن التصوير الذي يأتي به لا بد أن يجمع به خصيصة أو اثنتين أو أكثر، من أجل أن يخرج العمل الأدبي في أبهى صورة وأجمل تعبير ، وبالرجوع إلى التصوير الفني القرآني نجده قد جمع أموراً كثيرة ، منها ما قد أدرناه ، وأكثرها لا نزال نجهله ، ومن هذه الخصائص على سبيل المثال لا الحصر :

١ - إضفاء سمات الأحياء على الجمادات ، بما تحمل هذه الصفة من تشخيص (*) ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ . (١)

إن الآية الكريمة السابقة تتضمن العديد من الصور الفنية ، وأول هذه الصور هي خلع طابع الرؤية على للسعير ، وهي خصيصة تتميز بها العضوية الواعية من المخلوقات الواعية كالإنسان والملائكة ونحوهما .

إن بعض المفسرين يحملون طابع الرؤية الخاص بالمخلوقات الواعية على النار ذاتها ، بصفتها أنها مخلوقة من قبل الله - عز وجل - بأبعاد ذات قابلية على الوعي والنطق والنظر ونحو ذلك ، ومن هؤلاء المفسرين الطبري (٣١٠هـ) ، الذي ينسب للنار الرؤية والوعي ، فيقول في ذلك : " إذا رأت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم وذلك أن تغلي وتفور " . (٢)

وقد أيد هذا الرأي سيد قطب ، إذ يقول : " ونحن هنا أمام مشهد السعير المستعرة ، وقد دببت فيها الحياة ، فإذا هي تنظر ، فترى أولئك المكذبين بالساعة ، تراهم من بعيد " . (٣) .

* - رغم وجود هذه الصفة في الشعر والنثر بشكل كبير ، إلا أنها لا ترقى لمستوى النص القرآني .

١ - سورة الفرقان ، ١٢

٢ - محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، د. ط ، ج : ١٨ ، ص (٢٢١ + ٢٢٢)

٣ - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٧١ م ، ج : ١٩ ، ص : (١٤٨)

ومجموعة من المفسرين ترى أن الرؤية إنما هي صور استعارية ، يقول
الزمخشري(٥٣٨هـ) : " كأن بعضها يرى بعضاً على سبيل المجاز " . (١) وكذلك رأي ابن
عاشور الذي أيد في بادئ الأمر أن الرؤية هي استعارة ، يقول : " وإسناد الرؤية إلى النار
استعارة " . (٢)

لكن ابن عاشور عاد وأيد أن الرؤية لجهنم حقيقة ، حيث يضيف قائلاً : " ويجوز أن يكون
الله قد خلق لجهنم إدراكاً للمرئيات ، بحيث تشتد أحوالها عند انطباع المرئيات فيها فتضطرب
وتفيض وتتهياً لالتهام بعضها ، فتحصل منها أصوات التغيظ والزفير ، فيكون إسناد الرؤية
والتغيظ والزفير حقيقة ، وأمور العالم الآخر لا تقاس على الأحوال المتعارف عليها في الدنيا " .
(٣).

إلا أن الصور القرآنية تتميز في غالبيتها بكونها ذات سمة إيحائية ، يستطيع كل واحد من
المتدوقين أن يستخلص منها ما يتناسب مع حجم ذوقه ، وقناعة فكره ، واتساع خياله ، فضلاً
على أنها مرشحة لكثير من التفسيرات ، فاللغة القرآنية مفتوحة في كثير من المرات .
وفي تصور الباحث ، إن الرأي القائل : بأن جهنم تحمل طابع المخلوقات الواعية ، أي إنها
تصبح من قبل الله تعالى ذات قابلية على النطق والوعي والرؤية ... ، هو الأقرب للصواب ،
ودليلنا على ذلك ، هو أنك تلحظ أن هناك مواقع متنوعة من القرآن ، تشير إلى هذه الدلالات ،
التي تتحملها أكثر من غيرها ، فنجد ذلك مثلاً في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ

امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَهِيَ

تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (٥) ، ما يثبت رأي الباحث قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -

: " من يقل عليّ ما لم أقل ، أو ادعى إلى غير والديه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فليتبوأ بين
عيني جهنم مقعداً " . قيل : يا رسول الله وهل لها عينان ؟ قال : " أما سمعت الله يقول :

١- جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، شرحه
وضبطه وراجعه يوسف الحمّادى ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د.ت : ج ٣ ، ص : (٣١٨)

٢ - محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس ، ١٩٩٧ ، ج : ١٨ ، ص : (٣٣٢)

٣ - المرجع السابق ، ج : ١٨ ، ص : (٣٣٣)

٤- سورة ق : ٣٠

٥ - سورة الملك : ٧ ، ٨

﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ " (١) . وكذلك ما ورد في تفسير الطبري بمعنى الحديث السابق

، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من يقل عليّ ما لم أقل ، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً "

. قول الله - عز وجل - : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ . (٢)

حيث نجد فيما سبق أن العنصر الحقيقي لجهنم واضح بشكل كبير ، لذلك فالباحث استبعد الاستعارة والمجاز فيها ، وإنما هي ذات واقع مباشر ، وحقيقة ماثلة .

ومع احتمالنا الذي ذهبنا إليه ، بأنها صورة جهنم حقيقية لا مجازية ولا استعارية ، فما السمات الفنية التي تتميز بها تلك الصورة ؟ وما عناصر الإثارة والإعجاب التي تجذب المتلقي لتلك النصوص ؟ .

إن أول ما يواجهنا في الآية الكريمة ، هي صورة الرؤية في قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ

مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ، فقد نُسبت الرؤية إلى جهنم ، أي إن جهنم إذا رأت وشاهدت الكافرين من مكان

بعيد ، سمع الكافرون تغليظها وزفيرها ، فهنا نلاحظ مجموعة من الصفات الفنية ، منها : أن السعير هي التي ترى الكافرين ، وكذلك نجد تقييداً للرؤية بوصفها من مكان بعيد ، وأيضاً ما يترتب على هذه الرؤية من أن جهنم إذا رأت الكافرين تغليظت وزفرت ، والمعتاد عندنا أن يتوقع المتلقي قول النص بأن الكافرين هم الذين رأوا جهنم وسمعوها ، ولكن النص القرآني نسب الرؤية لجهنم ، والسمع للكافرين .

مما سبق يرى الباحث أن النص القرآني قد ربط رؤية جهنم للكافرين ، بسماع الكافرين لتغليظها وزفيرها ، ففي جميع الحالات ، نجد أن رسم الصورة يأخذ طريقاً على عكس التوقعات التي تصدر عن الأشخاص العاديين ، وهذا ما ينطوي على أحد أسرار الفن الذي يتسم بالدهشة والإمتاع .

أما بالنسبة لسياق النص الذي جعل رؤية جهنم للكافرين ، وليس رؤية الكافرين لجهنم ، فإنه يتضمن سراً عظيماً لا نجده إلا من خلال النص نفسه ، الذي يريد أن يلفت نظرنا إلى أن العقاب

١ - سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ،

العراق ، ١٩٨٣م ، ط ٢ ، رقم الحديث : ٧٥٩٩ ، انظر : اسماعيل بن كثير النمشي أبو الفداء ، تفسير القرآن

العظيم ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ : ج : ٣ ، ص : (٤١٤)

٢ - الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ج : ١٨ ، ص : (٢٢١)

هو الذي ينتظر الكافرين في اليوم الآخر ، فالكافر وهو يمارس أهواءه وشهواته الدنيوية ، لا يكون عنده أدنى تفكير فيما ينتظره من نتائج لمعصيته الله تعالى ، بينما النتائج تنتظره في الآخرة ، وبمعنى آخر إن الكافر لا ينتظر نتائج معصيته عند الحساب ، بل نتائج معصيته هي التي تنتظره في ذلك اليوم .

وحسب ما ذكر سابقاً ، فإن الموقف قد يبدو واضحاً جلياً عندما تظهر الصورة من خلال النص ، وهي ترسم صورة انتظار جهنم لهؤلاء الكافرين العاصيين ، الذين أخذتهم ملذات الدنيا وشهواتها ، ونسوا ما ينتظرهم من عذاب في الآخرة .

وأما قوله تعالى : ﴿ مَكَانٌ بَعِيدٌ ﴾ ، فنجد فيه تقييداً للمكان بالبعد ، وحيث إن هذا التقييد يبقى له صلة بالصورة السابقة الرؤية ، فما دامت السعير تنتظر أولئك الكافرين ، وتتشوق لرؤيتهم ، وليس هم الذين ينتظرونها ، وما أن تراهم حتى يبدأ تغيطها وزفيرها ، حينئذ تبدأ أوائل طلائعهم تظهر من بعيد ، حيث يقتربون شيئاً فشيئاً ، فهذا من الأسرار الفنية الممتعة لصورة الرؤية وانتظار جهنم لقدوم الكافرين من مكان بعيد .

أما سماع الكافرين لتغيط جهنم وزفيرها بعدما تراهم من مكان بعيد ، فيكمن فيه سر فني آخر ، ينعكس بظلاله على المتلقي ، الذي يتوقع أن يقول النص : بأن جهنم إذا رأت الكافرين تتغيط وتزفر .

أما الصورة الفنية التي تكمن في سماع الكافرين لتغيط جهنم وزفيرها ، مع أنها هي التي تراهم ، وليسوا هم الذين يرونها ، فتحمل سراً فنياً يكون من ورائه ، أن جهنم ثابتة في مكانها ، وأفواج الكافرين يأتون إليها ، وبما أن جهنم هي الجزاء الذي ينتظرهم ليحاسبهم على أعمالهم ، فنجد جهنم ترسل النظرات لتتلقفهم ، ومن ثم فإن الصورة تنعكس على الحالة النفسية للكافرين عند سماعهم تغيط جهنم وزفيرها ، ومعرفتهم بأنها مصيرهم المنتظر ، ولذلك كان من الأجود أن تأتي صورة جهنم على أنها مخلوق تشبه الإنسان ، وذلك إمعان في تعذيب الكافرين .

أما بالنسبة لقوله تعالى ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴾ ، فتحمل سمتين فنيتين هما التغيط والزفير ، فكل سمة تحمل صفة خاصة بها لكنها تتحد مع السمة الأخرى لتخرج صورة فنية من جهة الحركة والصوت ، هذه الصورة تتخللها الحركة المستمرة ، المنبثق عنها صوت متواصل ، لإخراج المشهد بمناظر مخيفة ، فسمّة التغيط تحمل صفة الغضب الشديد الذي لا يشابهه غضب ، ولكن السؤال : هل يكون له صوت ؟ فإجابة عن هذا السؤال نقول : إن التغيط لم يُسمع كما هو ، وإنما سمع الكافرون صوت غليانها الناتج عن تغيطها الشديد ، وفي ذلك يقول الطبري : "

يقال فلان تغيظ على فلان ، وذلك إذا غضب عليه ، فغلى صدره من الغضب عليه ، وتبين في كلامه ، فإن قال قائل : وكيف قيل سمعوا لها تغيظاً ، والتغيظ لا يُسمع. قيل: معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد " (١) ، وكذلك يقول البغوي (٥١٦ هـ) : " سمعوا لها تغيظاً غلياناً كالغضبان ، إذا غلى صدره من الغضب ، وزفيراً صوتاً. فإذا قيل كيف يُسمع التغيظ ؟ قيل : معناه رأوا و علموا أن لها تغيظاً وسمعوا لها ، زفيراً ، كما قال الشاعر :

ورأيتُ زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

أي وحاملاً رمحاً ، وقيل سمعوا لها تغيظاً أي صوت التغيظ من التلهب والتوقد " . (٢) وأغلب المفسرين ساروا على هذا المعنى ، وإن اختلفت الطرق .

إذا التغيظ له دلالة حركية وصوتية ، ينتج عن الحالة التي تنتاب السعير ، وهي حالة الغيظ الشديد من أولئك الكافرين المجرمين ، ولكي تتضح تلك الصورة مع شدة الصوت ، قرنها الله تعالى بالفعل (سمعوا) ، لتعطي بعداً متميزاً للصورة ، وهو شدة وضخامته وقوته للصوت الصادر من السعير بسبب تغيظها ، حيث يقول ابن عاشور : " والتغيظ : شدة الغيظ . والغيظ : الغضب الشديد ، والمراد هنا صوت المتغيظ ، بقرينة تعلقه بفعل (سمعوا) " . (٣)

لكن الزفير ، الذي هو ناتج عن حركة الهواء ، وخروجه من الصدر ، يبدو أنه المترجم لحالة التغيظ ، ولذلك وجد الزفير بعد التغيظ ، ليوحي بتلك الصورة المترابطة المتراسة في إيصال الصورة إلى ذهن المتلقي ، ومما سبق يمكن أن نتخيل ذلك الزفير المدوي الناجم عن غيظ شديد ، بسبب الحنق الذي ينتاب جهنم ، وشبيه مما تقدم نجده في قوله تعالى :

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِحَٰجَتِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ . (٤) *

١ - الطبري ، جامع البيان ، ج : ١٨ ، ص (١٨٧)

٢ - الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، معالم التنزيل ، تحقيق : خالد العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص (٣٦٣)

٣ - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج : ١٨ ، ص (٣٣٣)

٤ - ق : ٣٠

* يُلاحظ في آية : ٣٠ (ق) السابقة ، أن هناك صفة أعطيت لجهنم وهي صفة خاصة بالأدمنين عامة ، صفة التكلم ، ويلتصق بهذه الصفة صفة التعقل ، إلا أن هناك بعض الإشارات للتكلم وردت في القرآن الكريم على السنة بعض الحيوانات ، لا تندرج تحت الصفة العامة التي يعينها الباحث ، انظر ، النمل : ١٨ ، ٢٢

٢ - التجسيد :

تعدُّ الصورة الفنية ميزة في الأعمال الإبداعية وغيرها ، إذا كانت متنوعة الدلالة ، تسمح للمتلقي أن يقيم أكثر من نشاط نقدي فيها ، وذلك راجع لما تسمح به المادة الإبداعية من شفافية ، تسمح لمرور المتلقي إلى أعماق متنوعة ، فكل عمل ربما يُقرأ ، ويسمح لعمق آخر بالظهور ليقرأ مرة أخرى ، وهكذا . ومن الجماليات التي تزدهو بها الصورة التجسيد ، ويُعرف على أنه تجسيد المعنويات ، أي يجعل العمل المعنوي ذا صبغة جسدية مرئية محسوسة ، ويكون ذلك على سبيل التصيير والتحويل ، لا على سبيل التشبيه والتمثيل .

ومن الأمور المعنوية التي أظهرها القرآن الكريم بثوب التجسيد العذاب ، ونجده في قوله

تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (١)

لقد تضمنت الآية السابقة صورة تجسدية للعذاب ، فذلك العذاب الذي ندركه بحواسنا ، لا يمكننا أن نشاهده بأعيننا مباشرة ، إلا إذا شاهدنا أنواع ذلك العذاب ، ولكن الذي يلفت انتباهنا ، كيفية وصف العذاب بالغليظ ، والمعلوم لدينا أن الغلظة تكون للأشياء المحسوسة المرئية ، ومثال ذلك نقول هذا حبل غليظ أي سميك ، فهذا الحبل من خلال مشاهدتنا له ، يمكن أن نصفه بالغليظ ، أو السميك ، ويمكن أن نستنتج حالة أخرى يكون التمييز بها عن طريق الإحساس باللمس لا الرؤية ، وذلك يتم عند المكفوفين ، الذين لا يمكنهم الرؤية ، وإنما يتم تمييزهم للأشياء عن طريق حاسة اللمس .

إذا من خلال ما تبين سابقاً ، أراد النص القرآني أن ندرك من خلال وصف العذاب بأنه غليظ ، أن نعرف بأن الكافرين سيُحشرون يوم القيامة عمياً ، وهذه دلالة أخرى يسمح بها النص زيادة على الدلالة الأولى المتمثلة بحاسة البصر ، وقد وجد هذا البيان واضحاً جلياً في القرآن الكريم ، حيث يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا

وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (٢).

١ - سورة إبراهيم : ١٧

٢ - سورة طه : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦

ف نجد في هذا البيان صورة نستوحىها من التصوير القرآني لعذاب جهنم ، وهذا هو الاحتمال الأول ، الذي نجد فيه جمالية التصوير ، وإبراز العذاب بقلاب حسي تجسدي .

أما الاحتمال الثاني لتجسيد العذاب ، فنجد في ذلك العذاب غير المحسوس وغير المرئي ، الذي يخرج بصورة محسوسة مرئية ، وذلك من خلال وصفه بالغلظة ، هذه الصورة التي خلعتها النص على الأشياء المحسوسة ، وكلما كانت الأشياء المحسوسة غليظة ، كانت ثقيلة ، ففي الغلظة تكون المشقة ، وبذلك لا تكون راحة بسبب غلظة العذاب . *

وكذلك نجد في القرآن الكريم عنصراً تصويرياً تجسدياً مؤثراً ، وهو إحضار الأمور الخيالية غير المرئية وإضفاء هياكل عليها تناسبها ، وإلباسها ثوباً جديداً ، يناسب ما بين المنظر والوضع ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١)

٢ - صور حركية ولونية وصوتية ، أما الصور الحركية واللونية فتظهر في قوله تعالى :

﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ (٢)

الذي يشير إلى استمرارية الحدث ، والمقذوف (المرمي) هنا حجمه كحجم القصر " والقصر البناء العالي " (٣) ، فالشرر كبير وضخم يشبه القصر ، والقصر في واقع المتلقي النفسي له دلالة إيجابية ، فهو يعني السلطة والرفاهية والعيش القري ، غير أن النص القرآني هنا ، ولأجل الإمعان بالعذاب ، فإنه ينقل دلالة القصر إلى دلالة مغايرة ، فالقصر هنا دليل الهلاك ، ولا يفتأ النص القرآني في تعميق دلالة العذاب في رصده لون الشرر ، يقول أبو مسعود (٩٠١هـ) في تفسير هذه الآية : " فإن الشرارة لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل أسود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة ، والأول تشبيهه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة " (٤) ، وهذا الرأي قد سار عليه المفسرون ، حول أن الجمالات هي جمع الجمع للجمل .

* - ﴿ لَمَتَّعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّوهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ سورة لقمان : ٢٤ ، ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ سورة فصلت : ٥٠
١- سورة الصافات : ٦٥ .

٢- سورة المرسلات : ٣٢ ، ٣٣

٣- محمد بن احمد بن أبي فرج القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : احمد بن عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٢هـ ، ج : ١٩ ، ص : (١٦٣) .

٤ - محمد بن محمد العمادي أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، ج : ٩ ، ص : (٨١)

وأما الصورة الصوتية للكافر ، فقد صورها النص القرآني بأسلوب جميل ، وتتمثل بقوله تعالى :
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
 كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي
 كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
 نَصِيرٍ﴾ (١) .

أراد النص القرآني أن يبين حال الكافرين في جهنم قبل بيان الصورة الصوتية ، وذلك
 بوصف مكانهم وحالهم ، فهم في وسط جهنم يُعذبون بالنار بصورة دائمة ، ولا يوجد لهم راحة ،
 ولو كان بالقضاء عليهم ، ولبيان شدة العذاب ، وصف النص القرآني صراخهم بصورة فنية ،
 نرى من خلالها استمرارية العذاب ، فالإصطراخ يؤكد الاستمرارية ، وكذلك ينبئ عن الجهد
 الكبير الذي يبذله الصارخ من أجل إيصال صوته ، وزيادة الفعل يصطرخون فيها مشقة أكبر
 وعناء في إظهار الصوت ، وكان الزيادة هنا فيها دلالة موظفة لإظهار حالة المعاناة عند
 المصطرخ ، فقوله تعالى : **يَصْطَرِخُونَ** وهي الاستغاثة المستمرة بالجهر ، فيها دلالة أكبر من
 يصرخون ، وكان هذا رأي المفسرين ، " وهم يصطرخون فإنه أبلغ من يصرخون للإشارة إلى
 أنهم يصرخون صراخاً منكراً خارجاً عن الحد المعتاد " (٢) ، حيث نجد بين طيات الآية الكريمة ،
 صورة صوتية صاخبة لأصوات الكفار ، أصوات متعبة من العذاب ، مجهدة من الصراخ
 المستمر ، عدا أن اللفظة ذاتها **يَصْطَرِخُونَ** تبين هذه الدلالة والمعنى .

٤ - الإيقاع الذي يلائم الموقف الذي نتحدث عنه ، فالموسيقى الهادئة تلاءم موقف أهل الجنة
 كقوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٣) ، أما الموسيقى
 الصاخبة السريعة فتناسب أهل الجحيم كقوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ *
 ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٤) .

١- سورة فاطر : ٣٦

٢ - محمد بن محمد بن محمد الغزي ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، تحقيق : خليل محمد
 العربي ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، ١٤١٥ ، ط ١ ، ج ٢ ، ص : (٢٣٧)

٣ - سورة الحاقة : ٣٤

٤ - سورة الحاقة : ٣٠-٣٢

خامساً : وتنوع في المشاهد ، يقول تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ (١) ، وهناك أيضاً التقديم والتأخير ، يقول تعالى : ﴿ سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانَ وَتَغَشَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾ (٢) ، فقد قدم المفعول به (وجوههم) على الفاعل (النار) ، وكذلك إحضار اللون المناسب ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ (٣) .

كل هذه الأمور أحدثت عند المتلقي أمراً يكون وقعه شديداً ، ويحدث تأثيراً في نفسه ، فقد حسن استعمال التصوير ، وأجيد اختياره في اللفظ والمعنى ، ووضعته في الموضع المناسب لمراده .

والذي جعل الأمور يسيرة على المرء في فهم المقصود ، هي مرونة الألفاظ ، فالألفاظ أجملت الصور في عدة مشاهد ، فهذه الخاصية نجدها في القرآن ، حيث أوضح ما أراده من تصوير بكلمات مختصرة ، وبألفاظ محدودة ، دون الإطالة والتوسع ، إلا إذا كانت الإطالة خاصة فنية أيضاً فكل شيء بمقدار ، وهذه الألفاظ تتميز بالملاءمة للموضوع الذي تتحدث عنه . أما المعاني فتحمل في طياتها ومخزونات تلك الصور من حيث الدقة والترتيب ، إذ تخرج هذه الصور بأسلوب جميل جذاب ، يدخل إلى النفس من الذهن بكل سلاسة وسهولة ، ليحدث أمراً جلاً في تلك النفس ، " إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي ، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة . وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان ، وتصل إلى النفس من منافذ شتى : الحواس وبالتخييل والإيقاع " (٤) .

ومن جهة أخرى يبدو لك المعنى مألوفاً مفهوماً من أول لحظة ، ولكن إذا رجعت إليه عدة مرات ، فإنك تجد في المرة الثانية معنى جديداً ، وصوراً أجمل من الصور التي رأيتها في بادئ الأمر ، ولو عدت إليها مرة ثالثة وتعمقت فيها لوجدت في هذه الصور صوراً أخرى تستطيع استخلاصها بواسطة فهمك الخاص ، فما يزال النص القرآني في حوار مع متلقيه يعطيه الدلالة ليضيفها ، فتخرج مرة أخرى وفق قراءة جديدة ، وهكذا إلى ما لا نهاية .

١- سورة الشعراء : ٩٠ ، ٩١

٢- سورة إبراهيم : ٥٠

٣- سورة المرسلات : ٣٢ ، ٣٣

٤- سيد قطب ، مشاهد القيامة في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٨ .

فهذه الألفاظ التي تعبر عن تلك المعاني لا تضعنا فقط أمام نص عادي ، وإنما تنتقل بنا عبر مشاهد حية وأحداث مرئية ، يجتمع في داخلها الإيقاع والمحسوسات النفسية لتخرج بمنظر جديد ، ومن خلال تلك الموسيقى التي ترافق كل صورة من الصور ، وتعطيها النغم الذي ينسجم مع الحدث ليساعد على اكتمال الصورة ، فمثلاً نجد موسيقى هادئة ناعمة تلائم مشاهد النعيم وصوره ، بينما نجد ألفاظاً ضمن موسيقى مغايره لمشاهد العذاب .

الفصل الأول

الصورة الفنية ودلالة الجحيم : -

المبحث الأول : الصورة الفنية عند النقاد القدامى .

المبحث الثاني : الصورة الفنية عند النقاد المحدثين .

المبحث الثالث : أهمية الصورة .

المبحث الرابع : الجحيم ودلالته .

لمبحث الأول :لصورة عند النقاد العرب القدامى :-

لم يكن مفهوم الصورة أو معناها، حكرًا على النقد الحديث ، بل إن للقدماء تجارب جادة في هذا الإطار ، فقد أخذ النقاد المحدثون هذا المفهوم من القدماء وبنوا عليه ، بعد أن تأثروا بأقوال النقاد القدامى وكتاباتهم ، فمفهوم الصورة يبقى قديماً.

فأول من ذكر الصورة من النقاد القدامى أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، ولم نجد ذكراً لها عند سابقيه (١) ، " فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج رجس من التصوير " (٢) .

لقد وضع الجاحظ التصوير موضعاً ثالثاً في تعريفه الشعر ، ولم يبين كيفية التصوير وماهيته ، وإنما ذكره بشكل عام لا يفصح فيه ولا يطبقه .

أما قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) فقد باعد بين الشكل والمضمون ، وإنما جعل الصورة تختص بالشكل الخارجي للشعر ، وهي التي تعطي الشعر ذلك الرونق بما يضيف عليه من جمال ، إذ قال : " معاني الشعر بمنزلة المادة الموضوعية ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بدّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها ، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة " (٣) .

ثم جاء الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) مبيناً أن الصورة لها قدسيته إذا كانت معبرة عما في النفوس ، ومع ذلك جعل الصورة عبارة عن الإطار الخارجي للعمل الفني ، حيث قال : " وإذا كان الكلام يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة ، التي لا يمكن التوصل إليها بأنفسها وهي محتاجة إلى من يعبر عنها ؛ فما كان أقرب في تصويرها ، وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها ، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد ، وأشدّ تحقيقاً في الإيضاح عن الطلب ، وأعجب في وضعه ، وأرشق في تصرّفه ، وأبرع في نظمه ، كان أولى وأحقّ بان يكون شريفاً شبهوا الخط والنطق بالتصوير وكما أنه يحتاج إلى لطف يد في تصوير هذه الأمثلة ، فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع

١- انظر محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، دار الهادي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص : (٢١) .

٢- عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجليل / بيروت ، دت ، ج : ٣ ، ص : (١٣٢ ، ١٣١) .

٣- أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دت ، ص : (٨) .

تصوير ما في النفس للغير " (١) .

ويضيف أن الألفاظ هي التي يكون لها الدور الأمثل في الصور ، إذ يقول :
 "وتصوير ما في النفس ، وتشكيل ما في القلب ، حتى تعلمه وكأنك تراه"
 .(٢)

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فقد سار على رأي من سبقه ، ولكنه توسع في معنى الصورة وأعطاهها مدلولات جديدة، إذ قال : "واعلم أن قولنا : (الصورة)، إنما هي تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بإبصارنا . فلما رأينا البيونة بين أحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبين إنسان من إنسان ، وفرس من فرس ، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك . وكذلك كان الأمر في المصنوعات فكان تبين خاتم من خاتم ، وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً ، = عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البيونة بأن قلنا : ((للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك)) . وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه ، فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : ((إنما الشعر صناعة وضرب من التصوير))" (٣) .

لقد مايز الجرجاني بين الأعمال في كيفية التصوير ، إذ جعل المزية له ، فقد تتميزت الفرس عن أختها بصورتها ، علماً أنهما من جنس واحد ، لذلك فإن فهم عبد القادر الجرجاني للتصوير يُعدُّ فهماً ذكياً ، إذ إن المعاني مطروحة في الطريق وما يميز الفن إلا التصوير .

أما ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) فقد تناول الصورة مركزاً اهتمامه عليها في تجويد العمل وأثره في النفس ، إذ يقول : " ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها ، وكذلك إذا شبهتها بصورة أقيح منها كان ذلك مثبتاً في النفس يدعو إلى التنفير عنها ، وهذا لانزاع فيه " (٤) ، وقد خرج من القول إلى التمثيل ، فقال — وهو يعدد أقسام التشبيه الأربعة : " أما التشبيه معنى بمعنى أما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى :

١- انظر : محمد بن الطيب الباقلائي، إعجاز القرآن، تحقيق : السيد احمد صقر دار المعارف ، القاهرة، ط٣، دت ، ص : (١١٩)

٢- المصدر السابق ، ص : (٢٤٤)

٣- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ ، ص : (٥٠٨)

٤- ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة ، مصر ، ط٢ ، دت : ج ١ ، ص : (٢٧١) .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (١) وأما تشبيهه معنى بصورة

كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ ﴾ (٢) وهذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة

، لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة ، وأما الصورة بمعنى كقول أبي تمام :

وفتكتَ بالمالِ الجَزِيلِ وبالِعدَا
فتك الصَّبَابَةِ بالمُحِبِّ المُعْرَمِ .

فشبه فتكه بالمال والعدا وذلك صورة مرئية ، بفتك الصبابة وهو فتك معنوي ، وهذا القسم ألطف الأقسام الأربعة ؛ لأنه نقل صورة إلى غير صورة " (٣) .

ويبدو أن ابن الأثير يعد التشبيه التمثيلي بنقل المعنويات إلى الماديات أو نقل الماديات إلى

المعنويات هي الصورة التي تكون في العمل الأدبي .

أما الصورة عند التهانوي ، فقد أعطاها بعدين كل واحد يكمل الآخر ، حيث قال : " ما يتميز به الشيء مطلقاً ، سواء كان في الخارج ويسمى صورة خارجية أم في الذهن ويسمى صورة ذهنية " (٤) ، فقد احتسب التصوير مزيةً في العمل سواء أكان ذهنياً أم تصويراً عينياً ، غير أنه أعطى المزيةً للتصوير الداخلي على قرينه ، ثم باعد بقول آخر بين الجانبين وأعطى أهمية الصورة للمضمون ، فقال : " الصورة : ما به يتميز الشيء في الذهن ، فإن الأشياء في الخارج أعيان ، وفي الذهن صورة ، ... صورة الشيء تؤخذ منه عند حذف الشخصيات ، أي الخارجية ، وأما الذهنية فلا بد منها ، لأن كل ما هو حاصل في العقل فلا بد له من تشخيص عقلي ضرورة أنه متميز عن سائر المعلومات " (٥) . هذه بعض الآراء عند النقاد والبلاغيين القدامى التي عبروا بواسطتها عن مفهومهم للصورة .

بعد كل ما سبق لا بد من الوقوف على استعمالات النقاد والبلاغيين القدامى للصورة من أجل

توضيح مفهوم الصورة .

١- سورة الصافات : ٤٨ ، ٤٩

٢- سورة النور : ٣٩

٣- انظر : ابن الأثير ، المثل السائر ، ج : ١ ، ص (٣٨١ + ٣٨٢) .

٤- محمد علي بن علي التهانوي ، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بـ (كشاف اصطلاحات الفنون) ، منشورات شركة خياط للكتب والنشر ، دب ، ج : ٣ ، ص : (٨٢٩ ، ٨٣٠) .

٥- المصدر السابق ، ج : ٣ ، ص : (٨٣١) .

أما قدامة فقد كان من أوائل من وظف الكلمة معنىً بخلاف الجاحظ الذي استخدمها بأسلوب آخر ، وهو التصوير ، فقد حرص قدامة في تعريفها على أنها أسلوب للتعبير عن الهيكل لمثال الشيء وصفته ، أي بمعنى أن الأهمية تكمن في الصورة التي تعبر عن المظهر الخارجي ، فإذا كانت الصورة جميلة ينعكس ذلك على الشكل ، وإذا كانت الصورة رديئة ، كان الشكل رديئاً ، وتبعه في هذا الرأي عبد القاهر الجرجاني ، حيث يقول : " تشبيه الشيء بالشيء من جهة الشكل والصورة ، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة . . . وكالتشبيه من جهة اللون ، كتشبيه الخدود بالورد" (١) ، حيث يريد الهيئة والصفة مقابل المادة والجوهر .

ولعل أكثر الآراء تميزاً حول مفهوم الصورة ، ربما يكون لعبد القاهر الجرجاني ، حيث أعطى لمفهوم الصورة رؤية جديدة ، حينما عبر عنها بالفروق الدقيقة التي تميز معنى عن معنى ، وقد شبه هذه الفروق بالفروق التي تكون بين إنسان وإنسان ، أو بين فرس وفرس تتشابه في جنسها لكنها تتميز بصورتها .

١- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص : (٩٠) .

المبحث الثاني :-

الصورة عند النقاد المحدثين :-

يُعدُّ سيد قطب من النقاد المحدثين الأوائل الذين تحدثوا عن الصورة ، حيث اتخذ من الألفاظ والمعاني معاً وحدة واحدة لتشكيل الصورة دون الاستغناء عن أحدهما ، ويرى أن اختلاف اللفظ يؤدي إلى اختلاف المعنى ، يقول سيد قطب : " إن طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى ؛ وإنه حيثما اختلفت طريقتان للتعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورتا هذا المعنى في النفس والذهن ، وبذلك تربط المعاني وطرق الأداء ربطاً لا يجوز الحديث بعده عن المعاني والألفاظ " (١).

ينضح سيد قطب رأيه في الصورة من آراء القدماء ، وأخص عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ، إذ إن ما ذهب إليه قطب يعد تكراراً لآراء القدماء لافي التصوير وإنما في نظرية النظم .

لكن هناك تعريفات حديثة ابتعدت عن الرؤى القديمة ، واتجهت في آرائها نحو الصورة وتعريفها في طريق مغاير لطرق القدماء ، فلم يأخذوا بالشكل والمضمون ، ولم ينتصروا لأحد الجانبين على الآخر ، وإنما أرادوا بتعريف الصورة على اعتبار البواعث التي من أجلها تكونت الصورة ، والغرض الذي أرادت تحقيقه .

لقد عرّف (فان) الصورة بقوله : " الصورة كلام مشحون شحناً قوياً ، يتألف عادة من عناصر محسوسة ، خطوط ، وألوان ، وحركة ، وظلال ، تحمل في تضاعيفها فكرة أو عاطفة أي أنها توحى بأكثر من المعنى الظاهر ، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي ، وتؤلف في مجموعها كلاماً منسجماً " (٢).

فالصورة عند (فان) هي وليدة الأفكار والخواطر والانفعالات ، ولكنها تأخذ بأمر الحياة الظاهرة المحسوسة من عناصر الحياة الأساسية مثل الألوان والحركة والخطوط لخدمة الفكرة الباطنية ، فالفكرة عند (فان) تنحصر في جانبين :
أ - الجانب الحسي المرتكز على الفكرة والعاطفة والمشاهد .

ب - الجانب الإيحائي الذي يضيف على الشكل أكثر من تفسيره الظاهري (٣)

وقد عرّف (بوندي) الصورة بأنها : " ما ينقل عقدة فكرية أو عاطفية في لحظة زمنية

" . (٤)

١- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١٦ ، ٢٠٠٢م ، ص : (٢٤٠) .

٢- نقلاً عن ، محمد حسين على الصغير ((الصورة الفنية في المثل القرآني)) ، ص : (٤)

٣- محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص : (٢٧ ، ٢٨) .

٤- إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص : (٩٠) .

فالصورة عند (بوند) لا تظهر إلا من خلال العقدة سواء كانت نفسية أو عاطفية ، فهي عنده إنتاج للحالة الداخلية في النفس الإنسانية، أي لا يكون الإبداع وجمال التصوير إلا نتيجة للصراع الداخلي ، وبذلك نرى أن (بوند) قد أضفى على تعريف الصورة غموضاً مرتبطاً بنفسية الشاعر ، ومن خلال هذا التعريف لا نستطيع أن نفسر أي قول إلا من خلال سبر غور نفسية المبدع من خلال عمله الإبداعي .

واعتقد أن أحمد الشايب قد سار على درب (بوند) في تعريفه للصورة ، مع التوسع في المعنى والوسيلة ، أما من ناحية المعنى فيرى أن الصورة تسير باتجاهين، أولهما ما يكون ترجمة للخيال ، الذي ينعكس بدوره على المادة الأدبية التي تخرج بواسطتها الصورة .
 والثانيهما هو كيفية إخراج هذه الصورة إلى المتلقي ، بحيث تصل للقارئ بالمعنى الذي بواسطته يستطيع أن يتخيل تلك الصور ويشاهدها ، وفي ذلك يقول : " الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه وسامعيه " . (١)

ومع ذلك نرى أحمد الشايب يعود ليبين أن الصورة هي عبارة عن انعكاس للحالة النفسية التي تصاحب الأديب ، التي تنعكس بدورها على عقليته بكامل طاقاته من ألوان وظلال ... ، مما يترتب على الأديب بدوره نقل هذا التصوير بأسلوب خاص ، بحيث يقرأه القارئ أو المستمع فيخترق بواسطته النص ليدخل إلى ملامحه الداخلية وإلى أبعاده النفسية .

هذا الرأي للشايب يعطي الصورة إمكانات قوية للتأثير في القارئ ، من حيث استيعابه للفكرة والتأثر بها ، وما ينتج عن ذلك من تفاعل معها ، وبذلك يقول : " هو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة – فالصورة هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية – وهذا هو مقياسها الأصيل ، وكل ما نصفها به من روعة وقوة إنما مرجعه هذا التناسب بينها وبين ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد ، فيه روح الأديب وقلبه ، بحيث قرأه كأننا نحادثه ، ونسمعه كأننا نعامله " . (٢)

ونرى أن هناك رأياً شبيهاً برأي الشايب حول الصورة بأنها نتاج معضلة نفسية وكبت نفعالي ، وصاحب الرأي الأخير هو كمال أبو ديب ، إلا أن الأخير يختلف مع الشايب حول طريقة عرض الصورة ، فالشايب يرجع خروج الصورة ، إلى أن الأديب هدفه تجميع الوسائل لتعبير عن فكرته ، فالأديب في نظر الشايب توصيلي، يقصد من وراء الصورة نقل معضلته إلى لمتلقي ، بالمقابل يرى أبو ديب أن الصورة تخرج من ذهنية الشاعر بطريقة غير مباشرة ، حيث

١- احمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص : (٢٤٢).

٢- المرجع السابق : ص : (٢٥٩) .

يخرجها الشاعر بطريقة اللاوعي ، وليس هدفها الإخبار عن شيء وإنما هي نتاج عقدة نفسية تعرض لها الشاعر: " الصورة ، إذن ، لا تتحد بالخبر الذي يريد الشاعر أن يقرره ... وإنما بالرغبات النفسية - التي قد تكون لا واعية - في ذات الشاعر ، وبحنينه العميق وتشوقه ، ويمثل هذا الجانب للصورة مستواها النفسي " (١) ، ولعل هذا الرأي يتكرر بطريقة ما على آراء فرويد في حديثه عن اللاوعي الفردي ، الذي يؤسس وينتج الأدب بشكل لا واعٍ ، وخاصة في الصورة الشعرية .

ومن النقاد الذين عرفوا الصورة ضمن المنهج النفسي عز الدين إسماعيل ، وإذ يرى أن أي تفسير بعيد عن الاتجاه النفسي لا يحيط بمفهوم الصورة كلياً ، فيقول في ذلك : " الصورة الفنية تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع " (٢) .

ويرى عبد القادر الرباعي أن الصورة تتكون في مخيلة الشاعر نتيجة لقوى داخلية ، ولم يعرف تلك القوى ، هل تتمثل في المؤثرات والانفعالات الداخلية المكبوتة لدى الشاعر ، كما أخبر عنها العديد من النقاد ، أم هي نتيجة طموحات لدى الشاعر في إظهار القوى العجيبة لديه في بيان قدرته على الإبداع ، فكلتا الحالتين لها ذلك التأثير الذي يؤدي إلى خلق صور مؤثرة ، وبالمقابل نجد تفاوتاً في التأثير بالمتلقي ، يقول الرباعي : " الصور في التصور الجديد ابنة للخيال الشعري الممتاز الذي يتألف - عند الشعراء - من قوى داخلية تفرق العناصر وتنتشر المواد ثم تعيد ترتيبها وتركيبها لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم . فالفن عموماً - كما قال سانتايانا - نظام للقلب وللخيال في أن معاً " (٣) .

فالصورة عند عبد القادر الرباعي تصب في قالب الإبداع ، سواء كانت نتيجة مكبوتات

داخلية

بسبب عقد نفسية ، أو بيان القدرة على الخلق الجديد لما هو موجود ولكن بمظاهر مبتكرة حديثة . إلا أنه يجعل الصورة محصورة ضمن حدود معينة لا يمكن تجاوزها ، غير أن المحدودية التي عنها ترجع إلى اللفظة ، أما الدوافع والانفعالات التي جعلها هي المركزية التي تتحكم بإبعاد الصورة ، فلا يمكن ضبطها ضمن حدود معينة ، يقول الرباعي : " وهي في أكثر حالاتها - مظهر خارجي محدود ومحسوس جيبى به في الشعر ليعبر عن عالم من الدوافع والانفعالات لا يحد ولا يحس ، ذلك لأن الفن - كما تؤكد سوزان لانجر - ليس سوى خلق للصور التي ترمز للمشاعر الإنسانية الداخلية المتلاحمة . إنه اتحاد النفس الإنسانية الداخلية بمظاهر الكون والطبيعة

١ - كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي (دراسة بنيوية في الشعر) دار العلم للملايين ، بيروت، د.ت. ص : (٢٦) .

٢ - عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، دار العودة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٨ . ص : (٦٦) .

٣ - عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، نشر بدعم من جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن ، ١٩٨٠م . ص : (١٤) .

الخارجية . وبذلك تكون القيمة الكبرى للصورة الشعرية في أنها تعمل على تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة عن المعنى الأعمق للحياة والوجود ؛ المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون ، والمبني بطريق إيحائية مخصصة من حيث الشكل " . (١)

أما جابر عصفور فيعرف الصورة بأنها ترجمة لما هو ذهني على الواقع الحسي ، أي النقل من الخيال إلى الواقع ، أو من الواقع الحسي إلى ما هو أشد منه حسياً أيضاً ، وبعد ذلك يتوسع في التعريف ليشمل الصور الحسية ويفرق بين تلك الصور من حيث السطحية والعمق ، ومع ذلك فالصورة عنده متحولة ، ولكن نحو الوضوح ، وفي ذلك يقول : " الصورة هي النقلة من فكرة معنوية إلى صورة حسية ، أو النقلة من صورة حسية إلى أخرى أشد منها تمكناً في الصفات الحسية " . (٢)

ومن النقاد من رأى أن الصورة هي انبعاث وانعكاس للطبيعة المحيطة بالشاعر ، وأن على الشاعر أن يلم بالعناصر الأساسية المبددة في الطبيعة (مجموع عناصر الصورة) ويؤلف بينها في عمل جديد غير معهود من قبل ، ولذلك كانت نظرة وحيد كتابه إلى الصورة تظهر بقوله : " الصورة خلاصة رؤية كونية للعالم المحيط بالشاعر ، وما الكشف عنها إلا الكشف عن ذات الفنان وطريقة تعامله مع هذا العالم " (٣) .

لكن كتابه لم يهمل الحس المرهف عند الشاعر ، ولم يبتعد عن نفسية الشاعر ، وحسب فهم الباحث ، يرى أن جزئيات الصورة ووجودها في الطبيعة هي المساعد الأول على وجود الصورة أصلاً، وما دور الشاعر إلا أن يجمع هذه الجزئيات ويخرجها في عمل أدبي ينال إعجاب المتلقي . من خلال التعريفات السابقة للصورة في ضوء المنهج النفسي ، أرى أن الصورة الأدبية هي ما ترسمه مخيلة الشاعر مستعينة بالألفاظ ، كما ترسم ريشة الفنان لوحة جميلة ، وتكون متأثرة بحالة الشاعر النفسية إما يملكها الفرح أو يخيم عليها الحزن ، يتصورها الشاعر من مخيلته وذهنه ، فتجيء مادية محسوسة ، أو معنوية ذهنية ، وهي التي يعنى بها علم الجمال الأدبي .

والصورة الأدبية تخلق في النص جمالاً وجذباً أقوى من الكلام العادي ، لأن الصورة تغني الفكرة ، وتحرك المتلقي وتنقله إلى أجواء يسمو في خيالها بعيداً عن الواقع. لكن اللوحات الذهنية لا يجوز أن تتعدى المعقول ، وإلا خرجت عن مفهومها الجمالي ، وابتعدت عن إدراك المضمون .

١ - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

٢- جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢ ، ص : (٢٦٣) .

٣ - وحيد صبحي كتابه ، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس (دراسة) ، من منشورات اتحاد لكتاب العرب ١٩٩٩ ، WWW.AWU-DAM.COM

ويُلاحظ أن للصورة وظيفة جوهرية في أي عمل أدبي ، فإذا أثارت مشاعر المتلقي ووجهته إلى جوانب معينة في الحياة ، تكون الصورة ناجحة في تأدية واجبها ، وأما إذا عجزت عن إثارة المتلقي فيكتب لها الفشل .

كثير من النقاد عرّفوا الصورة الفنية بأنها أحاسيس وانفعالات مكتوبة لدى الشاعر ، وبوساطة الصورة يستطيع المتلقي أن يدخل إلى نفسية الأديب أو الشاعر لإخراج مكونات نفسه ، فالصورة الفنية صلة بين الأديب والمتلقي .

إذن ، لا نستطيع تطبيق المنهج النفسي على القرآن بجميع جوانبه ، ولكن إذا استدركنا الأمر وأخذنا بتطبيق المنهج النفسي على جزينات من القرآن الكريم ، فإننا قد نصل إلى نتيجة جيدة ، ومن هذه الجزينات مثلاً ، دراسة حالة الشخصوص النفسية الواردة في سور القرآن ، أو دراسة البيئة المحيطة بتلك الشخصيات ، أو دراسة نفسية المتلقي بوساطة جمالية التلقي ، فإن تلك الدراسات قد تمنحنا الكم الهائل من المعلومات التي من خلالها نلتمس آفاق الصورة في القرآن وجمالياتها .

أهمية الصورة : -

تكن أهمية الصورة عند عبد القاهر الجرجاني في كيفية التعبير عنها ، و نرى أن عبد القاهر قد جعل جمال الصورة مشتركاً ما بين كيفية التعبير عن المحسوسات الشعورية ، وجمال التعبير : " وإن من الكلام ما هو كما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز الذي تختلف عليه الصور وتتعاقد عليه الصناعات ، و جُلُّ المعوّل في شرفه على ذاته، وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره، ومنه ما هو كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة ، فلها = ما دامت الصورة محفوظة عليها لم تنتقض ، وأثر الصنعة باقياً معها لم يبطل = قيمة تغلو ، ومنزلة تغلو ، وللرغبات إليها انصباب ، وللنفوس بها إعجاب ، حتى إذا خانت الأيام فيها أصحابها ، وضامت الحادثات أربابها ، وفجئتهم فيها بما يسلبها حُسْنها المكتسب بالصنعة ، وجمالها المستفاد من طريق العرض ، فلم يبقَ إلا المادة العارية من التصوير ، والطينة الخالية من التشكيل سقطت قيمتها ، وانحطت رتبها ، وعادت الرغبات التي كانت فيها زهداً " (١)

إن فالصورة فيها جانب لا ينكر في إظهار جمالها ، فإذا ما بعدت الصورة عنها ، فإنها تنكشف ولا تبقى على قدرتها . لذلك فإن للصورة أهمية في إبراز المعاني على شكل فني .
ويقول الجرجاني : " ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه " (٢) ، فالتصوير إذاً يختلط بمفهوم الصياغة والنظم ، فالصورة تظهر بوساطة النظم ، تتبدل بتبدله وتثبت بثباته .
أما الزرقاني فيعيد أهمية الصورة إلى ما تؤديه من معنى ، والفكرة التي أرادها الأديب أن يوصلها للمتلقى ، إذ يقول : " كلام يخرج به التعبير عن المعنى القائم بالنفس حين يخرج في صورة اللفظ أول مرة " . (٣)

فمن خلال كلامه نلاحظ أن الصورة عنده هي عبارة عن توضيح لما تكنه النفس من خلجات وأحاسيس ، فالصورة هي الوسيط الذي يقوم بإظهار هذه الخلجات إلى حيز الوجود ، بعد أن كانت مدفونة في تلك النفس المستترة ، أي وبتعبير آخر ، هي واسطة لإظهار غير المرئي إلى الوجود ، ليتمكن مشاهدته كصورة واضحة المعالم تشاهدها الأعين وتتملاها ، غير أن الصورة هنا تؤدي في اللفظ ؛ أي أن المعنى يخرج من نفس الإنسان بوساطة اللغة المكونة من ألفاظ ، وهذا معنى بسيط يصوغه الزرقاني في حديثه عن الصورة ، إذا الصورة هنا هي ألفاظ .

١- انظر : عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص : (٢٧) .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : (٢٥٤) .

٣- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ج : ٢ ، ص : (٧٩) .

أما النقاد المحدثون فقد لاحظوا للصورة أهميتها التي لا يمكن الاستغناء عنها في إيصال المعنى إلى المتلقي ، ولذلك جعلوها عندهم المطلب الأول ، الذي يحتاج إليه الأدب من أجل ربط الصلة ما بين الأديب والقارئ ، وقد كان جُلَّ اهتمامهم على الإحاطة بالصورة وما تؤديه من تأثير في المتلقي ، ونلاحظ ذلك في قول سيد قطب حول الصورة وأهميتها : " لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي إتباع تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية ، وإبرازها في صور حسية ، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية ، والحوادث الماضية" (١)

ويرى عبد الفتاح لاشين أن أهمية الصورة تكمن في أنها تُظهر الفاعلية النفسية لمؤلفها ، فهي - أي الصورة - تُعدُّ تعبيراً صادقاً عن خلجات مبدعها ، وتُعدُّ مكمناً حقيقياً لحالته النفسية التي يتأثرها المتلقي عند تحليله لها أيضاً ، يقول عبد الفتاح لاشين : " قد يجد الأديب في دلالة الألفاظ المجردة شيئاً من العموم وعدم الدقة ، أو يجد أن اللفظ المجرد لا يستطيع أن يحمل ما في نفسه من شعور ، فيفزع إلى فن التصوير في اللغة التي تقدم صوراً متعددة للتعبير عن المعنى الواحد ، فيختار منها ما يراه ملائماً لما في نفسه ، كفيلاً بنقله إلى السامع على شكل يرضاه ، أو ينتقي منها صورة يتخذها قالباً يصب فيه ما نفسه وما يلفه من شعور " (٢)

فبعد الفتاح لاشين يرجع أهمية الصورة إلى أنها تيسر على الأديب الذي يرى في الصور منفذاً له ليحملها ما في نفسه من خلجات ، ولكن بالشكل الذي يرضاه ويطمئن إليه .

و نجد علي علي صبح يوافق رأي لاشين ، في أن الصورة تظهر ما عند الشاعر من خلجات ، وما تصبو إليه من تأثير عند المتلقي ، ففي المرحلة الأولى ، تظهر ما أراد الأديب إظهاره من فكرة تحتوي بدورها على مشاعر الأديب وأحاسيسه ، أما الجانب الثاني فيكون دوره على إيقاظ المشاعر عند المتلقي وإثارتها " فالصورة الأدبية هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر - أعني خواطره ومشاعره وعواطفه - المطلق من عالم المحسوسات ؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى ، في إطار تام مُحسّ مؤثر ، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين " (٣) ، فالصورة عنده هي صلة و رابط ما بين شعور الشاعر ومشاعر المتلقي ، كأنها إفراغ لتلك الشحنات والانفعالات التي تكون في نفسية الشاعر ، فيفرغها في ذهن المتلقي ، أو يوحى بوساطتها إلى أحاسيس المتلقي ليثيرها على نمط ما .

١- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص : (٢٤١) .

٢- عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، ص : (١٨)

٣- علي علي صبح ، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥ ، ص :

ولم يكتفِ عليّ صبح بهذا التعريف لأهمية الصورة الفنية ، بل يتوسع بهذه الأهمية
 يعطيها تعريفاً أوسع من سابقه ، ويرد تلك الأهمية إلى القدرة التي تتضمنها الصورة
 من إيصال الفكرة بأوفر وقت وأوجز عبارة ، وما يؤدي ذلك من التوسع في أفكار
 المتلقي عند فهم تلك الصورة ، مما قد تثير عند الأخير من تفكير في أبعادها ، مما ينبثق
 عن ذلك من التماس صور جديدة واستحضارها ، كل ذلك مرده إلى تأثير الصورة
 الأولى : " الصورة هي أقدر الوسائل على نقل الأفكار العميقة ، والمشاعر الكثيفة في
 أوفر وقت ، وأوجز عبارة ، وأضيق حيز ، فكلما أمعن الناظر فيها ، استقطب أفكاراً
 جديدة " . (١)

ويرى جابر عصفور إن أهمية الصورة تتبع من كونها تؤثر في المتلقي ، وتستثير
 أحاسيسه ومداركه الذهنية ، إذ يقول : " طبيعة الصورة باعتبارها تقديماً حسيّاً للمعنى
 ، وقد لاحظ النقاد علاقة الصورة بمدرجات الحس ، وقدرتها المتميزة على مخاطبة
 إحساسات المتلقي ، وإثارة صورة ذهنية في مخيلته " . (٢)

١ - المرجع السابق ص : (٣٣،٣٤) .

٢ - جابر عصفور ، الصورة الفنية ، ص : (٩) .

المبحث الرابع :-

الجحيم ودلالاته :

الجحيم لغةً :-

هناك تشابهاً كبيراً بين اللغويين حين عرّفوا الجحيم ، وجميعها تسير في محيط واحد بالنسبة للمعنى ، يقول الجرزي (٦٠٦هـ) : " دُكر الجحيم في غير موضع ، هو اسم من أسماء النار ، وأصله ما اشتد لهبه من النيران " (١) ، ويقول ابن منظور (٦٣٠هـ) : " والجحيم : اسم من أسماء النار . وكل نار عظيمة مهواةٍ فهي جحيم . ابن سيده : الجحيمُ النارُ الشديدة التّأجج كما أجبوا نار إبراهيم النبي على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فهي تحجم حجوماً أي توقد توقداً ... وكلُّ نار توقد على نار جحيم " (٢) ، وشبيهه من قول ابن منظور نجده عند الرازي (٧٢١هـ) (٣) .

أما ابن فارس (٣٩٥هـ) فيرى الدلالة في اصطفايف الحروف ونطقها ، يقول : " الجيم والحاء والميم عظمها به الحرارة وشدتها . فالجاحم المكان الشديد الحر ... وبه سُميت الجحيم جحيماً " (٤) ، وسار المناوي (١٠٣١هـ) على منهج ابن فارس ، حيث أكد معاني الحروف واصطفايفها في الدلالة على الاسم ، يقول في ذلك : " الجحمة شدة تأجج النار ومنه الجحيم ، وجحم وجهه من شدة الغضب استعارة جحمة النار وذلك من ثوران حرارة القلب ذكره الراغب ، وقال الحرالي : الجحيم انضمام الشيء وعظم كبره ، ومن معنى حروفه الجحيم وهو التضمّام وظهور المقدار " (٥)

الجحيم اصطلاحاً :-

وقد سار المفسرون على درب اللغويين ، وعرّفوا الجحيم اصطلاحاً أنه النار التي تتميز بالشدّة والقوة ، قال الجوزي (٥٩٧هـ) : " فأما الجحيم ، فقال الرّاء : الجحيم النار والجحيم على

١ - المبارك بن محمد الجرزي ، النهاية في غريب الأثر ، تحقيق : طاهر احمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، مادة جحيم .

٢- محمد بن مكرم (ابن منظور) (٧١١هـ) ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢ : مادة جحيم .

٣ - انظر : محمد بن أبي بكر الرازي (٧٢١هـ) ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٥ ، تحقيق : حمد خاطر : مادة جحيم .

٤ - احمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت : مادة جحيم .

٥ - محمد عبد الرؤوف المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر لمعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق / ط١ ، ١٤١٠هـ ، مادة جحيم .

الجمر . وقال أبو عبيدة : النار المستحكمة المتظية . وقال الزجاج : النار الشديدة الوقود ، وقد ججم النار إذا شدد وقودها " (١) ، وقال النسفي : " فألقوه في الجحيم في النار الشديدة ، وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم " (٢) ، وقال البيضاوي (٧٩١هـ) : " فألقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج " (٣) ، وقال أبو مسعود (٩٥١هـ) : " قالوا أبناؤه بنيانا فألقوه في الجحيم أي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج " (٤) ، وشبيهه بذلك نجده عند الألويسي (٦٢٧هـ) . (٥)

إن ، يجد الباحث أن هناك تشابهاً حول معنى الجحيم بين اللغويين والمفسرين ، فالجحيم هي النار الشديدة الاتقاد ، التي تتميز بقوة استعارها ، وشدة تأججها .
أما سبب اختيار الباحث لاسم الجحيم دون غيره من باقي الأسماء ، نجد في الجحيم تلك الميزات التي لم تعط لغيرها من الأسماء ، ومن هذه السمات والمميزات :

أولاً : إن الجحيم دون غيره من أنواع العذاب أعطي صفة الملازمة والمصاحبة للمعذبين ، يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٦) ، وهذه الصفة تلازمها الخلود الدائم في الجحيم ، يقول البيضاوي في تعليقه على الآية الكريمة : " فيه دليل على أن الخلود مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يشعر بالاختصاص ، والصحة تدل على الملازمة " (٧) ، ويقول أبو مسعود : " أي ملازمو النار الموقدة " (٨) ، ونجد الرأي نفسه عند كل من النسفي (٩) ، والألويسي (١٠).

١ - انظر : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط ٣ ، ج ١ ، ص : (١٣٨) .

٢ - النسفي ، تفسير النسفي ، ج ٤ ، ص : (٢٤) .

٣ - ناصر الدين بن سعيد البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بـ (تفسير البيضاوي) ، تحقيق : عبد القادر العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ج ٥ ، ص : (١٩)

٤ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ج ٧ ، ص : (١٩٩) .

٥ - انظر : محمد الألويسي أبو الفضل ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : محمد السيد الجليند ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٣ ، ص : (١٢٦) .

٦ - سورة المائدة : ١٠

٧ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ج ٥ ، ص : (٣٠١ ، ٣٠٢) .

٨ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ج ٦ ، ص : (١١٣) .

٩ - انظر : محمد بن الحسين بن محمد النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المعروف بـ (تفسير النسفي) ، دبت : ج ١ ، ص : (٢٧٣) .

١٠ - الألويسي ، روح المعاني : ج ١٧ ، ص : (١٧٢) .

وهذا لا يعني أن صفة المصاحبة لم ترد في القرآن إلا للجحيم ، فقد وردت المصاحبة للنار بشكل عام ، والباحث في هذا الموضوع يحاول أن يتتبع المصاحبة للجزئيات وليست للكليات .
ثانياً : ورد في القرآن الكريم عذابٌ آخر ملازم لعذاب الجحيم ، لم يرد مع أي عذاب آخر مثل جهنم أو السعير ... ، وهذا العذاب الذي عدّه علماؤنا من أشد أنواع العذاب ، وهو ما يسمى بألم الحجاب ، يقول تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ (١) .

يقول أبو حامد الغزالي : " ذكر الخزي والعذاب الذي يلقاه المحجوبون عنه بإهمال السلوك والعبارة الجامعة لأصناف آلامها الجحيم وأشدّها ألماً الحجاب والإبعاد أعادنا الله منه ولذلك قدمه في قوله تعالى كلاً أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم " (٢) .
ففي الآية الكريمة أن هناك عذابين ، عذاب الجحيم كما نعهده من الآيات الكريمة ، وعذاب الحجاب عن الله - عز وجل - كلاهما ذو ألم على المُعْتَب .

ثالثاً : لقد أكد القرآن الكريم إبعاد المؤمنين عن العذاب الأشد في النار وهو (الجحيم) ، وقد ورد تلك في ثلاث آيات كريمات ، يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٣) ، ويقول تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٤) ، ويقول تعالى : ﴿ فَآكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٥) ، ففي آية غافر نلاحظ أن لدعاء بإبعاد المؤمنين عن نار الجحيم جاء من الملائكة ، وفي آيتي الدخان والطور جاء الإبعاد

١ - سورة المطففين : ١٥ ، ١٦ .

٢ - محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد) ، جواهر القرآن ، تحقيق : محمد رشيد رضا القباني ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص : (٣٠) .

٣ - سورة غافر : ٧

٤ - سورة الدخان : ٥٦

٥ - سورة الطور : ١٨

والوقاية من قبل الله - عز وجل - والله أعلم من الملائكة والناس ، ولذلك اختار للمؤمنين الأشد وأبعدهم عنه رحمة بهم ، فعلم الملائكة فيما يختص بالآخرة أكثر من علم الناس (*) ، فقد جاءت الدعوة على لسانهم ، أما ما جاء على لسان المؤمنين ، فقد كان رجاؤهم من الله - عز وجل - بإبعادهم عن جهنم لعدم إحاطتهم الكاملة ، وعلمهم بالمكان الأشد عذاباً ، ولذلك جاءت الدعوة عامة في البعد عن العذاب ، يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (١).

والملاحظ أن الدعوة في آيات القرآن جاءت على لسان المؤمنين ولم تأت من قبل الملائكة ، وفي الآيات السابقة ما يميز الدعوة من الملائكة والناس عن استخدام الفعل الماضي في الكلام الصادر عن الله - عز وجل - ، ففي هذا المكان يصعب الحديث عن تلك الفروق .
رابعاً : لقد تميز الجحيم في القرآن الكريم بالوصف دون غيره من الأسماء ، ونلاحظ ذلك في بعدين :

أولهما وصف الأبعاد الجانبية وإضافتها للجحيم ، يقول تعالى : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٣) ، فالسواء هو الوسط ، قال ابن منظور : " السَّوَاءُ العدل ، قال الله تعالى : ((فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)) ، وسواء الشيء وسطه ، قال الله تعالى : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ " (٤) ، وعلى تعريف ابن منظور سار المفسرون (٥) .

* — لا تنطبق هذه الصفة على علم الدنيا ، انظر سورة البقرة : ٣١ - ٣٣

١ - سورة الفرقان : ٦٥

٢ - سورة الصافات : ٥٥

٣ - سورة الدخان : ٤٧

٤ - لسان العرب : مادة : سوا

٥ - انظر شهاب الدين احمد بن محمد بن الهائم المصري (٧٢٨هـ) ، التبيان في تفسير ، غريب القرآن تحقيق : نتحي أنور الداوولي ، دار الصحابة للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ج ١ ، ص : (٣٥٢) ، وانظر : محمد بن محمد بن محمد الغزي (١٠٦٢هـ) ، ابتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، ج ١ ، ص : (٣٢٧) .

ثانيهما : وصف العمق للجحيم، يقول تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ

الْجَحِيمِ ﴾ (١) ، والأصل في رأي المفسرين دلالة على العمق ، يقول القرطبي : " أصل الجحيم ي قعر النار " (٢) ، ويقول البيضاوي : " وصفها بأنها في أصل الجحيم فإنه أبعد مكان " (٣) ، شبيه بذلك نجده عند المفسرين . (٤)

خامساً : لبيان هول الجحيم وقوة عذابه ، نلاحظ أن القرآن الكريم نسب رؤية الجحيم للكافرين من خلال استخدام الفعل المبني للمجهول " بُرِّزَتْ " بما يصاحبه من تشديد ، في ذلك دلالة على هول المكان وقوة عذابه ، يقول تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ (٥) ، ويقول تعالى :

﴿ وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ (٦) ، بينما نجد في سورة الفرقان أنه نسب الرؤية لجهنم ولم

نسبها للمعذبين ، يقول تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴾ (٧) .

سادساً : لقد تميز الجحيم عن جهنم بدلالة مغايرة عن جهنم ، وهذه الصفة قد أثبتتها القرآن لكريم بطريقة تختلف عن إثبات طابع التشخيص لجهنم ، ويبدو أن النص القرآني قد أراد إثبات لجحيم كعذاب موجود للكافرين لا يمكن إنكاره ، يقول تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ

* لَتَرُونَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (٨) ، ففي هذه الآية قد وجد معنيان للإثبات،

ولهما : علم اليقين . وثانيهما عين اليقين .

فعلم اليقين هو علم التصديق من غير ريبة ولا شك .

١ - سورة الصافات : ٦٤ .

٢ - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص : (٨٦) .

٣ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٣ ، ص : (٤٥٤) .

٤ - انظر : البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٤ ، ص : (٢٩) ، وأبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن

كريم ، ج ٧ ، ص : (١٩٤) .

٥ - سورة الشعراء : ٩١ .

٦ - سورة النازعات : ٣٦ .

٧ - سورة الفرقان : ١٢ .

٨ - سورة التكاثر : ٥ - ٧ .

وعين اليقين هو علم الرؤية والمشاهدة ، حيث قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ ، فهنا

جد الإشارة إلى أن علم اليقين يكون بالسمع ، أما عين اليقين فتكون بالرؤية ، فليس الخبر لمسموع كالخبر المشاهد ، ومثال ذلك طلب إبراهيم عليه السلام رؤية إحياء الموتى ، حيث يقول

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

فرغم إيمان إبراهيم بربه ، إلا أنه أراد أن يحصل على عين اليقين من خلال الرؤية ، فالرؤية صاحبها الاطمئنان وليس ذلك للسمع وحده .

فكلا الأمرين السابقين يكونان مقدمة لما هو موجود من وجود الجحيم ، حيث أراد النص القرآني من ذلك توصيل الفكرة بوساطة السمع وخاصة علم اليقين ، فكل الأديان السماوية قد تحدثت عن العذاب ، لكن عين اليقين لم تكن حاصلة إلا للأنبياء كما أوضحت سابقاً من قصة

إبراهيم - عليه السلام - ، أما حق اليقين - وهي المرحلة الثالثة ، هي نهاية المطاف - فلا تحصل إلا بقيام الساعة ، ويكون ذلك عند الإحساس به ، إلا أننا قد نلاحظ أن النص القرآني قد أوجد حق اليقين لمسمى غير الجحيم وهو القرآن الكريم ، يقول تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) .

وكذلك ما جرى مع النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - حين عُرج به إلى السموات العلى ، فقد مر بالمراحل كاملة ، فعلم اليقين عندما آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وعين اليقين حين رأى النار عندما عُرج به إلى السموات العلى ، وحق اليقين حين رأى النار وأصناف المُعذَّبين ، فرأى من يتعذب في النار ، ورأى من يتنعم بالجنة وخيراتها ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء و اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء " . (٣) ، فقد تحققت حق اليقين عند النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - حين رؤية النار والمُعذَّبين فيها ، يُعذبون بأنواع عدّة من العذاب .

١ - سورة البقرة : ٢٦٠

٢ - سورة الحاقة : ٤٨ - ٥٢

٣ - محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، كتاب الرقاق (باب صفة الجنة) رقم الحديث : ٦٤٤٩ ، ٦٥٤٩

والحكمة من ذلك أن الذي يؤمن بالقرآن لا يكون عنده شك في عذاب الجحيم ، لأن العالم بالقرآن المؤمن به لا بد أن يؤمن بعذاب الجحيم كجزء من القرآن الكريم ، وفي ذكر عذاب الجحيم يقول تعالى :

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ * إِنْ هَذَا

لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (١) .

وفي هذه المرحلة يتم الإحساس بالعذاب عند دخول الجحيم ومعاينة شدته ومعه يكون حق اليقين . وبذلك تكون الفكرة واضحة بعض الشيء لدى المتلقي ، في أن القرآن الكريم قد اهتم بالألفاظ ودلالاتها سواء أكانت منفردة أم غير ذلك ، يقول تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) . ولو أننا تعمقنا في الآيات التي تتحدث عن الجحيم وأهوالها ، وغصنا في بحور أبعادها ومكوناتها ، لخلصنا إلا أننا أمام جمالية قرآنية عظيمة ، جمالية تعطي كل موضوع حقه ، بالإضافة إلى تميزه بسمات وخصائص معينة ، لا تتشابه مع غيره من المواضيع في نظر العالمين بالدقائق ، وبالمقابل لا تجد فرق بين المواضيع عند غير العلماء ، ومن الخصائص التي تمتاز بها آيات الجحيم دون غيرها من آيات العذاب :-

أولاً : تتميز آيات الجحيم بجمالية التصوير ، حين تستحضر صورة الجحيم من المستقبل إلى الحاضر بأسلوب فني عجيب ، يقع المتلقي بوساطته تحت تأثير التخيل ، بما يلزمه من خوف كبير يملأ القلوب ، ورعب شديد يسيطر على النفوس ، وما يصاحب تلك الصور من إيقاعات سريعة تنبئ عن ضخامة الموقف وهول العذاب ، ونجد ذلك في قوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ

إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُوقْ إِثْمَكَ أَثْمَ الْعَزِيزِ

الْكَرِيمِ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا

سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ

الْمَسْكِينِ﴾ (٤) .

١ - سورة الواقعة : ٩٢ - ٩٥

٢ - سورة يوسف : ٧٦

٣ - الدخان : ٤٧ - ٤٩

٤ - الحاقة : ٣٠ - ٣٤

ثانياً : لقد عرض النص القرآني موقعاً رحباً واسعاً للجحيم ، حين تكلم عن الأبعاد الأفقية والعمودية للجحيم ، ولم يكن لموقع آخر لأي نوع من أنواع العذاب الأخرى ، ونلاحظ ذلك جلياً في قوله تعالى : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) ، بالإضافة إلى وصف الجحيم بأنها نهاية المطاف للعذاب ، ومأوى المعذبين ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٤).

ثالثاً : استخدام الجمل الاسمية الدالة على الثبات حين ربط الكافرين والمشركين بالجحيم ، وهذا الربط فيه دلالة على حتمية ملازمة العذاب للجحيم ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٦) ، أما حين يتكلم عن الجحيم بوساطة الجمل الفعلية ، فإنه يربط ذلك بعنصر المفاجئة بالنسبة لظهور الجحيم ، يقول تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتْ لِلْجَحِيمِ لِلْغَاوِينَ ﴾ (٧) ، ويقول تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتْ لِلْجَحِيمِ لِمَنْ يَرَى ﴾ (٨).

رابعاً : تتميز آيات الجحيم بأنها تعطي للعذاب النفسي تلك الأهمية التي تعطيها للعذاب الجسدي ، يقول تعالى : ﴿ خَذُوهُ فَاعْتُلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ

١ - الصافات : ٥٥

٢ - الصافات : ٦٤

٣ - الصافات : ٦٨

٤ - النازعات : ٣٧ - ٣٩

٥ - المائدة : ١٠

٦ - المائدة : ٨٦

٧ - الشعراء : ٩١

٨ - النازعات : ٣٦

عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ خذوه فَعُلُوهُ * ثُمَّ لَجِّمِمْ صَلْوَهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ (٢) .

إلا أن النص القرآني حين تحدث عن العذاب بشكل عام ، جعله ضمن منظور إنساني واحد ، حين فصل في أنواع العذاب ، جعل لكل لون من ألوان العذاب ميزة يمتاز بها على حدة دون غيره ، وكذلك الآيات جعل لها ميزات خاصة وفق الموقف التي تتحدث عنه بما يصاحبها من لفاظ ومعان وإيقاع ، فالنص القرآني لا يفتأ أن يفاجئنا بما هو جديد على مدى القرون .

١ - الدخان : ٤٧ - ٤٩

٢ - الحاقة : ٣٠ - ٣٤

الفصل الثاني

مكونات الصورة الموضوعية .

المبحث الأول : الحوار .

المبحث الثاني : أنواع العذاب :

— العذاب الحسي .

— العذاب النفسي .

مكونات الصورة الموضوعية : —

تتشكل الصورة الكلية في كثير من المرّات من صور جزئية فرعية ، تتوسع لتضع المتلقي في صور كلية لها علاقات داخلية خاصة ، تتشكل هذه العلاقات من اقتران صور جزئية فرعية متنوعة .

هذا هو بديع النص القرآني في عرض الصور الكلية ، فكل جانب يأخذ لنفسه أسلوباً بعيداً عن أسلوب الآخر ، وكل جانب يكون له تلك الخصيصة التي تميزه عن غيره ، لكن القارئ يرى تناسقاً وانسجاماً بين تلك الجوانب في رصد موضوع واحد ، تمتزج به كافة الصور الجزئية ، مكونة موضوعاً رئيساً ، لا تظهر منفصلة ، إلا إذا استقصينا كل فرع على حدة ، بعيداً عن الآخر .

وتبدو الصورة الكلية أساسية ، ويتسع مضمونها كلما تعمقنا في دراستها المرة تلو الأخرى ، وكلما أنعمنا النظر بها تفاجئنا بشيء جديد وبمشهد حديث ، لم نكن قد عهدناه في المرات السابقة ، لأن اللغة القرآنية تبيح للمتلقي في كثير من الأحيان أكثر من دلالة وقراءة للمادة الواحدة والصورة الواحدة والمشهد الواحد .

ولكي نصل إلى الصورة الكلية ، لا بد من أن نلم بالجوانب الجزئية المساعدة لإبراز الصورة ، وهو ما نعدّه الفرع أو المساعد ، فلا يمكن لصورة فنية أن تظهر وتنمو شيئاً فشيئاً إلا إذا وجد ما يساعدها على الظهور ، ومن هذه الأفرع الحوار ... ، وسنقوم بدراسة كل فرع على حدة لبيان الصورة الفنية الكلية وتجلياتها في النص القرآني .

أولاً (الحوار :-

قبل الحديث عن الحوار ووضعه في النص القرآني ، يجب أن نتعرف إلى لفظة (الحوار) واشتقاقاتها .

فأصل كلمة الحوار من " الحور الرجوع إلى النقص ، من حور في محارة تعني نقصان في نقصان ، ورجوع في رجوع ، والمحاورة : المجاورة ، والتحاور : التجاوب ، وهم يتحاورون أي يتراجعون ، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة" . (١)

لكن ما يهمنا من الحوار في النص القرآني ، هو ما يكون ضمن صورة العذاب بشكل عام ،

١ — ابن منظور ، لسان العرب ، : مادة : حور

لقد تنوع الحوار في ذلك الموقف ، وتشعبت أطرافه ومواضيعه وأطرافه . *
 إن الطريقة الحوارية التي اتخذها النص القرآني منهجاً في استعراض أقوال الكافرين
 خاصة في مشاهد العذاب بشكل عام ، أو استعراض لبقية الأقوال ، إن هي إلا طريقة إخبارية
 تصويرية عما سيحدث في المستقبل ، ولو أنعمنا النظر في هذه الطريقة ، وما فيها من
 استعراض لأقوال المتحاورين ، نجد بهذا الأسلوب قوة تأثيرية في ذهنية المتلقي ، فينمي عنده
 الخيال ، ويزرع الخوف في قلبه ، وهو يتابع الأحداث شيئاً فشيئاً بوساطة الحوار ، حتى يظن
 نفسه في ذلك الموقف الصعب .

أول ما نلاحظه في تعبير النص القرآني ، أنه يتحدث عن المستقبل وأحداثه بأفعال الماضي
 أو الحاضر وبأسلوب إبداعي جمالي تأثيري ، لا تشعر بتلك الهوة ما بين زمن وآخر ، ولو تتبعنا
 هذه الأفعال لوجدناها تحتوي على أفعال ماضية ومضارعة ومستقبلية ، فهذا كله نجده في آيات
 العذاب ، نلاحظ أن ثمة حركتين لصورة العذاب :

الأولى : استدعاء صورة العذاب المستقبلية للحاضر .

الثانية : نقل الحاضر إلى المستقبل .

ونود أولاً أن نذكر الحوار الذي دار بين الله - عز وجل - وجهنم ، كتمهيد موجز يقول تعالى :

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (١)

* أطراف المتحاورين في الجحيم :-

- حوار بين الله - عز وجل - وجهنم . انظر ، سورة ق : ٣٠

- حوار بين الله - عز وجل - والكافر . انظر ، سورة الأنعام : ٢٢ ، ٢٣ ، سورة القصص : ٦٢ - ٦٤

- حوار بين الكافرين مع بعضهم . انظر ، سورة إبراهيم : ٢١ ، سورة غافر : ٤٧ ، ٤٨

- حوار بين الكافر والشيطان . انظر ، سورة إبراهيم : ٢٢

- حوار بين الكافر وأعضائه . انظر ، سورة فصلت : ٢٠ ، ٢١

- حوار بين أهل الجنة وأهل النار . انظر ، سورة الحديد : ١٣ ، ١٤

- حوار بين الملائكة والكفار . انظر ، سورة غافر : ٤٩ ، ٥٠

- حوار بين الكافر ونفسه . انظر ، سورة الفرقان : ٢٧ - ٢٩

- حوار بين القرين والإنسان . انظر ، الصافات : ٥١ - ٦١

- حوار بين الله - عز وجل - والملائكة . انظر ، سورة سبأ : ٤٠ ، ٤١

١- سورة ق : ٣٠

فالحوار ما بين الله - عز وجل - وجهنم سيكون في المستقبل ، وذلك من دلالة الفعل (نقول) ، وقوله تعالى : ﴿ هل امتلأت ﴾ - والله يعلم ما ستكون إجابة جهنم - لكن الحكمة من السؤال تذكير المتلقي بالحوار الذي جرى بين الله - عز وجل - وإبليس بسبب رفض الأخير السجود لآدم طاعة لله ، ووعده لجهنم بأنه سوف يملأها بإبليس وأتباعه ، يقول تعالى :

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١)

نأسلوب الحوار من قبل الله - عز وجل - لجهنم أسلوب لين ، واستفهامي بسيط ، وكذلك أسلوب جهنم في الرد لم يكن إلا استفهامياً أيضاً ﴿ وهل من مزيد ﴾ ، وهذا الأسلوب الاستفهامي لجهنم لي الرد هدفه بث الخوف والروع في قلوب الكافرين " أن هذا القول لجهنم مقصود به ترويع المدفوعين إلى جهنم أن لا يطمعوا في أن كثرتهم يضيق بها سعة جهنم فيطمع بعضهم أن يكون ممن لا يوجد له مكان فيها..... والاستفهام في (هل من مزيد) مستعمل للتشويق والتمني " (٢) . ونجد سمة جديدة في الحوار ما بين الله - عز وجل - وجهنم ، هي أن سؤال الله - عز وجل - لجهنم يكون عن الحاضر من خلال المستقبل ، أي أن النص القرآني حين استحضر حوار الله - عز وجل - مع جهنم ، كان استحضاره من المستقبل ، وحين أظهر سؤال الله - عز وجل - لجهنم ، سألها عن الحاضر ، بمعنى هل امتلأت الآن ، أما جواب جهنم فقد كان عن مستقبل المستقبل ، أي هل يوجد مزيد في المستقبل .

وكما عهدنا من النص القرآني أنه يتحدث عن المستقبل ويستحضره للزمن الحاضر ، يتحدث عنه بأسلوب رقيق يخلو من التعقيد والغموض ، وباستخدام الأفعال المضارعة ، ودون اختلاط وتشابك مع الأفعال الماضية التي تتحدث عن سبب دخولهم النار .

١ - سورة الأعراف : ١٨

٢ - انظر : ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتوير : ج ٢٦ ، ص : (٣١٧ ، ٣١٨) .

يقول تعالى : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَتُنكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ * إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

في الآية السابقة حوار يستحضره النص القرآني من المستقبل ، نجد أنفسنا أمام حوار يمثل فيه طرفان متحابان في الدنيا ، ولكنهما في الآخرة نقيضا مكان ، حوار تشترك به المتعة مع التأثير في الوقت نفسه ، فالمتعة نجدتها في ذلك الموقف الذي يصوره النص القرآني بموقف المُعَدَّب الذليل ، الذي لا يقدر على فعل شيء ، ولا يستطيع حتى الدفاع عن نفسه ، والتأثير من حيث خطابه بأسلوب الاستهزاء والسخرية منه من جهة ، ومن حيث إجابته من جهة ثانية .
إلا أن حوار الإنسان مع قرينه يحتوي على العديد من الصور الفنية التي لا يمكن ملاحظتها إلا بعد طول تمعن وتفكر ، هذه الصور يمكن تتبعها أثناء الحديث عن الآية كاملة .

ما لفت انتباه الباحث في هذا الحوار ، هو تعدد الآراء في تحديد نوعية القرين ، حتى إن المفسرين القدامى ، تتبعوا الآيات ، وأدلى كل واحد برأيه حسب الآية التي تناولها في البحث والتفسير ، فابن منظور يقول وبشكل عام : ((القرين : النفس)) (٢) ، ((وقال قرينه الملك الموكل به في قول الحسن وقتادة والضحاك)) (٣) ، ((قرينه : أي الشيطان المقيض له)) (٤) ، ومهما كان القرين ، إلا أننا ما نحتاج إليه ، هو الحوار الذي جرى بين الإنسان والقرين .
لو تناولنا الحوار في هذه الآيات دون الانتباه لنوع القرين ، لتشكل عندنا شعور بأن المتكلم واحد دون ذكر كلام الآخر أو شخصيته ، ولو عاودنا النظر مرة ثانية لظهر عندنا المحاور الآخر دون الكلام ، ولو رجعنا مرة ثالثة للنص القرآني لتشكلت عندنا صورة المحاور الآخر بكلامه

١- سورة الصافات : ٥١ - ٦١

٢- ، ابن منظور ، لسان العرب : مادة : قرن

٣- محمد بن أحمد بن أبي فرج القرطبي ، الجامع لإحكام القرآن ، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط٢ ، ج ١٧ ، ص : (١٦) .

٤- أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٨ ، ص : (١٣١) .

الذي يظهر بصيغة الأول ، وهذه مزيّة في النص القرآني .

فهاهو عرض الحوار يبدأ بقول المؤمن لأصحابه في الجنة ، ويطلعهم على حاله في الدنيا ، وأنه صبر على إيمانه ولم يلتفت لقول القرين ، وبعد ذلك ينتقل الحوار بعد إطلاعهم على النار ورؤيته للقرين ، حينئذ يُذكر القرين بما قاله له في الدنيا ، ومن خلال حديث المؤمن نلاحظ أن هناك حواراً عنيفاً بين الطرفين ، وقائعه تكون بتكذيب القرين لليوم الآخر ، وما يجري فيه من عذاب ونعيم ، فالنص القرآني من خلال الحوار يستحضر الصور التي جرت في الدنيا " عندئذ يتوجه إلى قرينه الذي وجده في وسط الجحيم . يتوجه إليه ليقول له : يا هذا . لقد كدت توردني موارد الردى بوسوستك . لولا أن الله قد أنعم عليّ ، فعصمني من الاستماع إليك " (١).

فهذا الحوار نجد فيه إهانة وتقريعاً وتكذيباً للقرين ، بوساطة تذكيره بأيامه الماضية ، وامتناح لنفسه لأنه لم يتبعه ، " فإن إغواء الشياطين إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مانلاً إلى الفجور كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ

لي﴾ " (٢) ، ولكي يتم ما يريده من تقريع وإهانة للقرين ، يقابل بين مكانه في الجنة ومكان القرين في النار ، وإظهار علو منزلته عن منزلة القرين ، من خلال بعدين ، الأول نجده في قوله تعالى : ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ، وهذا العلو يتمثل من خلال الاطلاع ، وهذا علو مادي

، أما البعد الثاني فيتمثل بقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، وهنا نجد العلو المعنوي ، ومقابل هذه الفرحة التي تغمر المؤمن في الآخرة ، نجد ذلك الذل الذي يخيم على القرين ، ففي كلمات المؤمن نجد ذلك الاستهزاء والسخرية من القرين " وهذا قول يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخاً له وزيادة في تعذيب " (٣) .

ومن خلال الحوار السابق ، أراد النص القرآني أن يصف الجحيم بالبعد المكاني إخباراً

١- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٧ ، ص : (٥٣) .

٢- البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٥ ، ص : (٢٢٩) .

٣- النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المعروف بـ (تفسير النسفي) : ج ٤ ، ص : (٢١) .

للمتلقي ، قال تعالى : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ ، والسواء هو الوسط ، قال ابن

منظور : " السواء العدل ، قال تعالى : ﴿ فَأَبْذُؤْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ ، وسواء الشيء وسطه " (١)

، وعلى تعريف ابن منظور سار المفسرون . (٢)

فيرى الباحث أن مكان القرين في وسط الجحيم ، فيه دلالة على سعة المكان ، ومع هذه السعة لجحيم لا لوجود لأي دلالة لارتفاع الصوت من أجل إيصال الكلام ، إلا أن الحوار يجري بكل بساطة وأريحية في الحوار ، وفي ذلك دلالة على أن مكان المؤمن أعلى من مكان القرين كما أسلفت سابقاً .

إن ما سبق يظهر جمالية الحوار في النص القرآني لتسمو إلى أعلى مراتبها ، بوساطة أدائه البياني الجمالي وبراعة أسلوبه ، فهو لم يحتفظ بهذه الجمالية البيانية لقول الله - عز وجل - ، يظهر أقوال الآخرين بلغة ركيكة وأداء رديء ، بل على العكس يصبغ تلك الجمالية على أقوال الآخرين ، ويحكي آراءهم وأقوالهم بأسلوب رفيع ، فتجد في تعبير النص القرآني في عرض آراء الكافرين وأقوالهم جمالية تفوق تعبير القائل نفسه .

أما بالنسبة لتقدير الأمور على ما سيكون ، وما سيجري في المستقبل ، وخاصة عند الحديث عن الجحيم ، وما يحدث فيه من عذاب للكافرين ، وأقوال للملحدين ، أستحضر قول ابن تيمية : " والقرآن والسنة تثبت القدر وتقدير الأمور قبل أن يخلقها وأن ذلك في كتاب وهذا أصل عظيم يثبت بالعلم والإرادة لكل ما سيكون ويزيل إشكالات كثيرة ضل بسببها طوائف في هذا المكان في مسائل العلم والإرادة " . (٣)

وأخيراً أرى أن السمات الجمالية والفنية التي ترتبط بالحوار في النص القرآني ، أن هدفها لم يكن إبراز ذلك الحوار بأسلوب فني ، والدعوة إليه من أجل الإقناع ، أو لبيان أن الإسلام يدعو إلى الحرية فقط ، بل نجد فيه سمة لا تظهر بسهولة ، إلا إذا تعمقنا في بحره ، وطرقنا أبوابه الخفية

١- ابن منظور ، لسان العرب : مادة : س و ا

٢- انظر : شهاب الدين احمد بن الهائم المصري ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، ، ج ١ ، ص : (٣٥٢) ، وانظر : الغزي ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، ج ١ ، ص : (٣٢٧) .

٣- احمد عبد الحلیم الحراني ابن تيمية أبو العباس ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، دبت ، ج ١٦ ، ص : (٣٠٨) .

قبل الظاهرة ، وأطلعنا على أموره المستورة قبل الجلية ، وهذه السمة يمكن أن نطلق عليها اسم الوعظ والإرشاد .

وهناك العديد من الآيات في كتاب الله تتناول الحوار مع اختلاف الأطراف المتحاورة . *

* انظر سورة ق : ٣٠ ، سورة الأعراف : ١٨ ، سورة ص : ٨٤ ، ٨٥ ، سورة الأنعام : ٢٢ ، ٢٣ ، سورة قصص : ٦٢ — ٦٤ ، سورة إبراهيم : ٢١ ، سورة غافر : ٤٧ ، ٤٨ ، سورة إبراهيم : ٢٢ ، سورة فصلت : ٢٠ ، سورة الحديد : ١٣ ، ١٤ ، سورة غافر : ٤٩ ، ٥٠ ، سورة الفرقان : ٢٧ ، ٢٨ ، سورة سبأ : ٤٠ ، ٤١ .

ثانياً) أنواع العذاب :-

يتميز النص القرآني بالتنوع التصويري وخاصة في الحديث عن موضوع مستقبلي ، ولم يلتزم حالة واحدة كما في التشريعات ، وقد لمسنا ذلك عندما تحدثنا أنفاً عن الحوار ، ويعود ذلك إلى حرصه الشديد على مخاطبة كل واحد حسب مفهومه ومعتقدده ، ونقل الصورة إليه بكافة أبعادها الحسية والذهنية ، وهذا التوصيل لا بد أن يتبعه تنوع في ألوان الخطاب ، وخاصة إذا كان الموضوع لم يسمع به المخاطب من قبل .

كما عهدنا دائماً ، نجد في النص القرآني ألواناً وأطرافاً من الصور ، يكمن تأثيرها غالباً في براعة التصوير ، بوساطة تجليات الخطاب بما يختاره من ألفاظ تتقلب بها الصور في أفضل مراحلها ، وتتفتح بها المعاني لأكثر من مشهد ، كلها تدخل ضمن إبراز الفكرة ، وإصاقها في ذهن المخاطب .

ومن صور العذاب الدنيوي :

١ - الغرق والطوفان ، ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) .

٢ - الريح ، وهو عذاب الله عذب به قوم عاد لما كفروا بربهم. ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٢) .

أ) العذاب الحسي :-

قبل الحديث عن العذاب بنوعيه الحسي والنفسي (الروحي) ، لا بد لنا من الوقوف بعض الوقت عند صورة العذاب بوساطة النار كما أبرزها النص القرآني ، فقد صورها بأسلوب مغاير ومختلف جل الاختلاف عن نار الدنيا ، فهي ليست كما يتخيلها العقل الإنساني بحدودها المعهودة ، وليست توقد بالمواد المساعدة مثل الخشب والورق كما نعرف ، وليست بالنار التي تهدأ لبعض الوقت ، وتُشعل حسب الحاجة إليها .

لقد صورَ النص القرآني جهنم بصور نقف أمامها مشدوهين متعجبين ، صور ترتجف منها قلوبنا خوفاً ورعباً من هول منظرها ، صور تصور وقودها ونارها وسكانها وحرسها وموقعها ، كل هذه الصور موجودة في القليل من الآيات .

١ - سورة العنكبوت : ١٤

٢ - سورة الحاقة : ٦

إن أول صورة لجهنم نلاحظها من خلال وقودها ، فهي تستعر ويشتعل لهيبها بوقود ليس كوقود الدنيا ، وإنما وقود خاص بنار الآخرة دون غيرها ، ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (١) ، إنها نار تتقد بالناس والحجارة " وذلك أن النار إذا احترقت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها وأقوى لسعيرها " (٢) ، " وذلك لأنها نار ممتازة عن غيرها من النيران ، بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة " (٣) ، وقد قرن النص الناس مع الحجارة في إشعال النار ، ولابد لهذا القرن من سبب ، " لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله نداً وعبودها من دون الله " (٤) ، وإذا ما تجاوزنا الصورة الأولى إلى الثانية ، نرى صورة جهنم بمكانها ، ذلك المكان الرحب في سعته (٥) ، الذي يتسع لجميع الكافرين ، ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٦) ، فهي تحيط بهم من جميع الجهات ، " يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة " (٧) ، وبعد هذه الإحاطة بالكافرين ، تبدأ جهنم تضيق على الكافرين ، حتى تحصرهم في مكان ضيق ، يعانون منه أشد أنواع الهلاك ولا يهلكون ، وتجلب إليهم كل مسببات الموت ولا يموتون ، ولكنهم يعانون العذاب المرير ، ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ (٨) ، " أي مستقراً ومحصراً وسجناً لا محيد عنه " (٩) ، " وحصيراً . محبساً " (١٠).

١ - سورة البقرة : ٢٤ .

٢ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص : (٦٢) .

٣ - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج ١ ، ص : (٩٧) .

٤ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص : (٩٨) .

٥ - انظر مثلاً قوله تعالى : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ سورة الصافات : ٥٥

٦ - سورة التوبة : ٤٩ .

٧ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ٢ ، ص : (٣٠٥) .

٨ - الإسراء : ٨ .

٩ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٥ ، ص : (١٥٨) ، انظر : ابن كثير ، تفسير

القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص : (٢٧) .

١٠ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ٣ ، ص : (٥) .

أما الصورة الفنية ذات الأبعاد المتعددة للعذاب الحسي في الجحيم نجدتها في قوله تعالى :
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (١)

، هذه الآية تحمل بين طيات كلماتها وأفعالها ذلك الكم الهائل من الصور الجزئية التي تحتويها اللوحة الأم ، ويمكن تجزئة الصورة الكلية إلى ما يلي :

أ - صورة الأمر الذي لا يظهر منه إلا أمره ، فلم تجر على مجرى القول كما في قوله تعالى :
﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) ،

ف نجد في الآية الكريمة تغييب الفعل (قال) ومشتقاته من الأفعال ، ويجد الباحث نفسه أمام الأمر مباشرة (خذوه ، فغلوله ، صلوه ، فاسلكوه) ، وفي ذلك دلالة مهمة ، توحى بعظمة الأمر وقوته .
ب - كذلك يلاحظ في أفعال الآية الكريمة أن الأمر قد صدر لمجموعة كبيرة باستعمال واو الجماعة ، وفي ذلك دلالة على الصمت الذي يخيم على الجماعة المأمورين بانتظار الأمر ، وأيضاً يوحى بالكثرة ، والصمت (الفاعل) مخيف ويوحى بالكثرة .

ج - إبعاد المُعَدَّب باستخدام ضمير الغائب المفرد (الهاء) ، وفي ذلك دلالتان ، فأولهما : الضعف الذي يسيطر على المُعَدَّب لأنه وحيد ضمن مجموعة كبيرة تنتظر الانقضاض عليه ، وثانيهما : في استخدام ضمير الغائب ، ودلالة ذلك أنه بعيد عن الرحمة بُعداً كبيراً " وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبون عن رحمة " (٣) ، لأنه محجوب عن ربه ، يقول تعالى :
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ (٤) ، فآلم الحجاب

من أشد أنواع العذاب ، " والعذاب الذي يلقاه المحجوبون عنه ، بإهمال السلوك والعبارة الجامعة لأصناف ألامها الجحيم ، وأشدّها ألماً ألم الحجاب والإبعاد ، ولذلك قدّمه في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا

إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (٥) .

١ - سورة الحاقة : ٣٠ - ٣٢

٢ - سورة البقرة : ٧٣

٣ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٩ ، ص : (١٢٧) .

٤ - سورة المطففين : ١٥ ، ١٦

٥ - أبو حامد الغزالي ، جواهر القرآن ، ج١ ، ص : (٣٠) .

د - استخدام التقديم لبعض الأسماء للأهمية ، فقد قُدم الجحيم على التصلية ، وقُدّمت السلسلة على السلك ، والفاء في (فغلوه) واستخدام حرف العطف (ثم) على التفاوت والتراخي في الزمن بين التصلية والسلك ، بداية العذاب سريعة ، لكن إجراءات العذاب فيها تراخي ، أي بعد الغل بفترة طويلة يصلّى في الجحيم ، وبعد ذلك بفترة طويلة يسلك في السلسلة ... الخ ، وهذا التراخي في الزمن يزيد من طول العذاب ، إذ العذاب في فتراتٍ طويلة ، فكل صنف يأخذ زمناً طويلاً . والله تعالى أعلم ، " وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يُعذب به ، وثم لتفاوت ما بينهما من الشدة " (١) .

هـ - استخدام العدد (سبعون ذراعاً) فيه دلالة على الكثرة بوساطة المبالغة في الطول ، يقول الألوسي : " في سلسلة ذرعها أي قياسها ومقدار طولها سبعون ذراعاً يجوز أن يُراد ظاهره من العدد المعروف والله تعالى أعلم بحكمه كونها على هذا العدد ، ويجوز يُراد بها التكرير ، فقد كثر السبعة والسبعون في التكرير والمبالغة " (٢) .

ونجد ذلك العدد بوضوح في النص القرآني ، قال تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ

إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٣) ، وفي الحديث الشريف ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يُؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " (٤) .

إذن ، يرى الباحث أن العدد (سبعون) له دلالة خاصة في التكرير للتهويل ، " وجعلها سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول كما قال ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ يريد مرّات كثيرة ، لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد ، والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية ، إلا تسلكوه إلا في هذه السلسلة ، كأنها أفضل من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم ، ومعنى ثمّ الدلالة على تفاوت ما بين الغلّ والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة " (٥) .

١ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٥ ، ص : (٣٨٣) .

٢ - محمد أبو الفضل الألوسي ، روح المعاني: ج ٢٩ ، ص : (٥٠) .

٣ - سورة التوبة : ٨٠ .

٤ - أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ م . رقم الحديث : ٢٨٤٢ . انظر: محمد بن عيسى الترمذي (أبو عيسى) ، سنن الترمذي (صفة جهنم) رقم الحديث : ٢٥٧٣ ، دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .

٥ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص : (٤٥٨) .

ومع معنى التقديم الذي يفيد الاختصاص والاهتمام ، تتناسب الفواصل في إخراج ذلك الإيقاع المؤثر عند المتلقي ، فالفاصلة القرآنية جاءت بتناسب مع توحيد أواخر الأفعال ، إلا أن الباحث يعتقد أن التناسب ما بين الفواصل قد زاد في جمالية الإيقاع قصر القرائن في البداية ، وإطالتها فيما بعد .

والغُلُّ هو جمع الديدن إلى العنق مع التقييد ، " فغلوه اجمعوا يديه إلى عنقه في الغلِّ " (١) ، والتقييد يعني الشدة وعدم الحركة ، وفي ذلك دلالة على الإهانة ، فكيف إذا صاحب ذلك الغلِّ الجر بعنف ، " ﴿خُدُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر ، فتغله أي تضع الأغلال في عنقه ، ثم تورده إلى الجحيم فتصليه إياها " (٢) .

وشبيهه بآيات الحاقة نجدها في قوله تعالى : ﴿ خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٣) ، " والعتل : الدفع والإرهاق بالسوق العنيف وقوله فاعتلوه أي سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره " (٤) ، وعلى المعنى نفسه سار المفسرون (٥) .

ففي (الغل والعتل) وإتجاههما في عذاب واحد ، تخرج إلينا دلالة جديدة تنبئ أن العذاب الواقع على الكافر يحتمل عذابين معاً ، العذاب الجسمي والعذاب النفسي .

ومن الأساليب التي نهجها النص القرآني لتعذيب الكافرين ، العذاب بالطعام والشراب ، فهاتان المادتان هما سبب استمرار الحياة الدنيا ، وهما لذتها ولذيتها ، وهناؤها وجميلها ، يقول تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ (٦) ، وكذلك هما جزاء المحسنين في الجنة ، يقول تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (٧)

١ - جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، دبت ، ج١ ، ص : (٧٦٣) .

٢ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص : (٤١٧) .

٣ - سورة الدخان : ٤٧

٤ - لسان العرب : مادة : عتل

٥ - انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص : (١٤٦) ، البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٥ ، ص : (١٦٤) ، القرطبي ، الجامع لإحكام القرآن ، ج١٦ ، ص : (١٥٠) ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، دبت ، ج٤ ، ص : (١٤١) ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تحقيق : علي محمد عمر ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٦ هـ ، ج٤ ، ص : (٥٧٨) ، الألوسي ، روح المعاني ، ج٢٥ ، ص : (١٣٣) .

٦ - سورة الرحمن : ١٠ ، ١١ ، ١٢

٧ - سورة الرحمن : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨

وهما أيضاً نوع مهم وفعال في عذاب الكافرين في الجحيم ، فمن عجيب النص القرآني أن يجعل المادة الواحدة تتلون بعدة ألوان ، وتتخذ عدة مواقع في النص ، بحيث تصبح تارة لا يمكن الاستغناء عنها ، وتارة العمل من أجل الحصول عليها ، وتارة ثالثة الهروب منها .

إذا طعام أهل الجحيم عذاب ، وشرابهم عذاب ، فهم يأكلون في الجحيم ويشربون ، ولكنهم لا يستمتعون بالطعام والشراب ، بل يعذبون عذاباً كعذاب النار أو أشد، ومع أنهم يعذبون بالطعام الذي يأكلونه وبالشراب الذي يشربونه ، إلا أن ضرورة الجوع والعطش تلجئهم إلى هذا الأكل والشرب ، أو الجبر على أكله ، الذي هو نوع من العذاب ، بل هو العذاب بعينه ، فالمعذب في الجحيم يجوع جوعاً شديداً ، ويلجئه ضرورته وألمه إلى الأكل من شجر الزقوم ، وهذه الشجرة تخرج في أصل الجحيم في عمق وقعر الجحيم ، وتخرج أغصانها وثمارها في صورة مرعبة كريهة بشعة ، فكيف يكون ذلك الثمر ؟ وأصل منبته في النار ، وتغذيه النار ، ويجري في عروقه الحميم ، قال تعالى في ذكر شجرة الزقوم : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَا لِنُؤِنَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ (١) ، " وقيل إن رءوس الشياطين اسم

لنبت قبيح معروف باليمن ويقال له الشيطان وقيل شجر خشن منتن مر منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين " (٢) " منبتها في قعر جهنم ، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ، طلعتها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته إياه في الشكل أو الطلوع من الشجر ، كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول ، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالملك ... فإنهم لآكلون منها من الشجرة أو من طلعتها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها ، ثم إن لهم عليها أي بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ، ويجوز أن يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق أو من صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم " (٣) .

إذا أكلهم بإجبار أو بإرادة فهو عذاب ، وشرابهم لإطفاء الظم أو للاستمتاع فهو غصة وعذاب ، فنجد في هذه الآيات صورة عكسية لما في الدنيا أو لما في الجنة .

١ - سورة الصافات : ٦٤-٦٨

٢ - انظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تحقيق : علي محمد عمر ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ ، ج ٤ ، ص : (٣٩٨) .

٣ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٥ ، ص : (١٥) .

ب (العذاب النفسي : —

لعلنا ندرك أن النص القرآني قد نوع في العذاب الجسدي للكافرين ، غير أننا لا نعدم أن يكون هناك عذاب آخر وهو العذاب النفسي ، ليكون تأثيره أشد وأشر وأوسع من العذاب الجسدي وحده ، ومن ذلك العذاب الندم مثلاً ، الذي يختلج صدر الكافر ، وما يناسب ذلك من حركات ظاهرة مثل (عض اليدين) و(تقليب الكفين) ، أو أقوال مقروءة تأتي على ألسن الكافرين ، نخلص عند قراءتها إلى ذلك الندم الشديد الذي يسيطر على نفسية المعذب ، مثل قول (يا ليت) والتمني بالعودة لاستبدال العمل السيء بالحسن ، وهناك وصف للملائكة وهي تفرع الكافرين بمقامع من حديد مع تأنيبهم ، أو إهمالهم للكافرين رغم صياحهم واستجداهم .

ومن أنواع العذاب النفسي في النص القرآني نجد أولاً ما عبر عنه النص بلسان الكافر ، يقول

تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، إنه مشهد الندامة والخزي والحسرة ، لقد وقفوا على النار ، حيث حسبوا

عندها ، لا يملكون الإعراض والتولي ولا يملكون الجدل والمغالطة ، ورأوا ما يرهبهم ويرعبهم ، وبعد رؤية هذا المنظر المخيف لجهنم ، واعتقادهم اليقين بأنهم وقود لها ، تأتي الحسرة والندم على ما فرطوا ، وفي المقابل نجد عندهم التمني ، ﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا

وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعلمون الآن أنها كانت آيات ربهم ، وهم يتمنون لو يُردون

إلى الدنيا ، وعندئذ فلن يكون منهم تكذيب بهذه الآيات ، و سيكونون من المؤمنين ، ولكنها ليست سوى الأمانى التي لا تكون ناتجة إلا عن ندم وحسرة .

فالحزن والهم القاتل والحسرة غير المتناهية — من العقوبات والآلام النفيسة — هي مجموعة من الضغوط التي تضغط على روح الإنسان ونفسه ، وإن كانت لا تؤثر بجسمه في الظاهر في بعض الأحيان ، إلا أنها تُعد من أنواع العذاب القاسية التي يكون لها ذلك التأثير القوي ، والتي لو تتبعنا تأثيرها على مدى ليس ببعيد ، لوجدنا أن تأثيرها أقوى من تأثير العذاب الجسمي ، وفي بعض الأحيان نجد أن تأثيرها يكون مباشرة لا يحتمل التأخير .

أما الندم وما يرافقه من حركات ، فنجد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى

يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (١) ، تتضمن هذه الآية الكريمة ، قمة

الصراع في نفسية الكافر ، فهو لم يبق الندم في داخله مع التعبير عنه بالكلام فقط كما في آية الأنعام السابقة ، نلاحظ أن التأثير أقوى في هذه الآية ، بحيث أن الكافر قد أوسع في التعبير ليشمل اليدين ، وعض اليدين يدل على الندم الشديد ، فالندم على المعصية هو سلوك داخلي يتحسسه الشخص من خلال قيامه ببعض الممارسات غير المقبولة ، فيتألم على صدورها منه ، وهذا الإحساس الداخلي هو الطرف الأول ، وأما الطرف الآخر فهو ((العض على اليدين)) ، والعض على اليدين سلوك خارجي حركي ، كما هو واضح ، إلا أنه تعبير عن الإحساس الداخلي المذكور ، لذلك ، نجد أن النص القرآني الكريم قد اعتمد هذه الخبرة المأثورة في مدى رد الفعل الذي يصدر عن الظالمين يوم القيامة عندما يواجههم الموقف و المحاسبة والمصير الذي يؤولون إليه ، إنهم يعضون أصابعهم تعبيراً عن ندمهم على عدم التزامهم بأوامر الله - عز وجل - ، وبمبادئ النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول الواحد منهما : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ

مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) ، " ناكسوا رؤوسهم من الندم والخزي والحزن والذل والغم عند ربهم " (٣) ، وقوله

تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ (٤) .

فهذان نوعان من العذاب النفسي الواقع على نفسية الكافر بصورة عامة حين يرى العذاب ، أما بالنسبة للعذاب النفسي بوساطة الطعام والشراب ، وأثره في الكافرين ، نجد في النص القرآني أنواعاً كثيرة ومتعددة .

ورغم التنوع في العذاب الذي تناوله النص القرآني ، إلا أن الباحث يرى أن كلا العذابين وقعه

١ - سورة الفرقان : ٢٧

٢ - سورة السجدة : ١٢

٣ - القرطبي ، الجامع لإحكام القرآن ، ج ١٤ ، ص : (١٩٥) .

٤ - سورة الشورى : ٤٥

شديد على المُعَذَّب ، فلا يعتقد أن أحد العذابين يقل أهمية أو تأثيراً عن الآخر ، وقد تناول سابقاً العذاب الحسي ، ووجد وقعه شديداً على المُعَذَّب ، أما العذاب النفسي فيلاحظ له ذلك التأثير الكبير الذي يضاهي في قوته العذاب الحسي ، إلا أنه يرى في أكثر الآيات في موضوع الجحيم وعذابها ، أن كلا العذابين يسيران في طريق واحد ، ومن الآيات التي تناولت العذاب النفسي في الجحيم ، قوله تعالى :

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ

مِنْهَا فَمَالُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى

الْجَحِيمِ ﴾ (٢) ، فدلالة الشجرة كما عهدناها في الدنيا رمزاً للخير ، وفوائدها جمة ، وفي بيان

قدسيته ، قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليخرسها " (٣) ، أما تحول الشجرة من المنظر الحسن والطعام الطيب والظل المريح إلى عكس دلالتها ، فتصبح دلالة للعذاب والطعام القبيح والرائحة النتنة ، فهذا ما لم نعهده في دنيانا .

أول ما يطالعنا النص القرآني لصورة الشجرة في الآخرة التي تحتوي على صورة متناقضة للموجود في الدنيا ، ويمكن إجمال المتناقضات من خلال المنبت والتغذية والشكل والثمر

فوصف الشجرة بأنها تخرج في قعر الجحيم ، وأن ثمرها يشبه رؤوس الشياطين ، كل ذلك يصب في مضمون العذاب النفسي ، الذي بدوره يخيم على نفسية المُعَذَّب بوساطة الثمر الذي

يمتاز بالبشاعة العظمى ، فتشبيه الثمر جاء بجزء من الشيطان وهو الرأس ، ولم يشبهه بالشيطان كاملاً ، وكذلك جاء بالجمع وليس بالمفرد ، من خلال ما سبق يُلاحظ الباحث أن الشياطين تتشابه أجسامها في الشكل ، إلا أن الرؤوس تختلف عن بعضها ، وذلك يؤدي إلى إبلاغ الفكرة للقارئ ، فلو كانت رؤوس الشياطين على صورة واحدة لأصبحت مألوفة عند المُعَذَّب ، إلا أن الاختلاف يجعل عامل الخوف في تجدد دائم ، وذلك فيه زيادة في العذاب النفسي " كأنه رؤوس الشياطين

٢ - سورة الصافات : ٦٤ - ٦٨

٣ - احمد بن محمد بن حنبل ، مسند احمد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوظ وأخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، رقم الحديث : ١٢٩٠٢

قيل : يعني الشياطين بأعينهم ، شبهها برؤوسهم لقبحهم ، ورؤوس الشياطين متصور في النفوس وإن كان غير مرئي " . (١)

إذن ، هناك ثمر مطروح للأكل ، هذا الثمر يمتاز بالبشاعة والقذارة والمذاق المرّ : لأن منبته وسط النار ويُغذى من النار أيضاً ، " إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، غذيت من النار ومنها خلقت " (٢) ، وزيادة في العذاب النفسي أن المُعذب يدرك أنه لا يوجد طعام بديل للزقوم ، وكذلك القذارة التي تتميز بها الزقوم يلاحظها الباحث بوساطة التزام الشياطين وسكناهم في الأماكن القذرة .

فالعذاب بوساطة الطعام يحتوي على عذاب نفسي عظيم ، يصور مدى الإهانة والمعاناة التي تقع على نفسية المُعذب من جميع جوانبها ، يُجبر على الأكل من الزقوم بما يحمل من بشاعة ومرارة وقذارة ، والإجبار يتم بطريقتين ، بوساطة الملائكة ، وبوساطة الجوع الشديد الذي يحس به .

وقد وُجدت الشجرة بهذا الشكل والوصف ، " لأن أبا جهل قال : يا معشر قريش هل ترون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد . قالوا : هي العجوة . فأنزل الله تعالى : إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم " . (٣)

وشبيه من ذلك ما نجده في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ

وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (٤)

يجد الباحث ذلك التلاؤم في المعنى بين شجرة الزقوم وتشبيه ثمرها برؤوس الشياطين والشجرة الملعونة : لأن اللعن كان من الله - عز وجل - على الشيطان .

١ - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص : (٨٦) .

٢ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص : (١١) ، انظر : معاني القرآن ، بلا مؤلف تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ج ٦ ، ص (٣٣) .

٣ - ابن منظور ، لسان العرب : مادة زقم

٤ - سورة الإسراء : ٦٠

وزيادة في العذاب النفسي نجد أن النص القرآني يستخدم أفعالاً فيها دلالة على السخرية والتهكم ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (١) ،

﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ اي عرفوهم طريقها ووجهوهم إليها ، وفيه تهكم بهم " . (٢)

فقوله تعالى (فاهدوهم) فيها سخرية وتهكم ؛ لأن الهداية تكون للرشد والبيان ، يقول القرطبي : " والهدى في كلام العرب معناه الرشد والبيان ، أي فيه كشف لأهل المعرفة ورشد وزيادة بيان " (٣) ، ونلاحظ ذلك في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) ، فالهداية تكون لما هو خير للمهتدي ، يقول تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٥) .

إلا أن النص القرآني اتخذ الهداية طريقاً للسخرية والتهكم من الكافرين ؛ لأنهم كانوا يظنون أنهم على الهدى بكفرهم في الدنيا ، ولذلك جاء الجواب رداً بما فيه من تهكم وسخرية على ما عملوه في الدنيا ، ونظير ذلك ما نجده في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٦) ، فالبشرى دائماً بما تحمل من معنى للخير ، وفي هذه الآية نجدها للعذاب بما تحمل من سخرية وتهكم .

وزيادة في التعذيب للمُعذَّب نفسياً ، لا يُمنح وقت للراحة ، فالمُعذَّب دائماً في حركة مستمرة ، فبعد أكل الزقوم ينتقلون إلى شرب الحميم ، ثم يردون للجحيم - والعياذ بالله - وهكذا دواليك ،

١ - سورة الصافات : ٢٢ ، ٢٣

٢ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٧ ، ص : (١٨٨) .

٣ - القرطبي ، الجامع لأحكام البيان ، ج ١ ، ص : (١٦٠) .

٤ - سورة البقرة : ٢

٥ - سورة الفاتحة : ٦

٦ - سورة الإنشاق : ٢٤

قال تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَيْمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ *
 خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ (١) *

١ — سورة الدخان : ٤٣ - ٥٠

* قال تعالى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴾ سورة الرحمن : ٤٣ ، ٤٤

وقال تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾

سورة الواقعة : ٤١ - ٤٤

وقال تعالى : ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرًّا مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفْنَ الْمِيَادَ * هَذَا فَلْيَذُرْقُوهُ حَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ * وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ

أزواج ﴾ سورة صر : ٥٥ - ٥٨

الفصل الثالث

أسلوب البناء اللغوي والإيقاعي في صورة الجحيم

المبحث الأول : اللفظ والسياق .

المبحث الثاني : أنماط التركيب :

— الحذف .

— التعريف والتعريف .

— الجملة الاسمية والجملة الفعلية .

— الالتفات .

المبحث الثالث : الإيقاع .

الفصل الثالث : أسلوب البناء اللغوي والإيقاعي في صورة الجحيم : -

أولاً : اللفظ والسياق .

لقد تميزت اللفظة القرآنية بتلك الميزة الدقيقة التي لا يعترها أي زيادة أو نقصان، بما تحويه من معانٍ تتناسب وأذهان المتلقي حسب علمه وثقافته ، والذي ساعد على تقوية الصلة بين اللفظ والمعنى ذلك السياق المتين ، الذي يبرز في جميع جوانبه ، وهذا مما لا نجده في نص دنيوي ، يقول الخطابي : " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلواماً وتشاكلاً من نظمه ، وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقديم في أبوابه ، والرقى في أعلى درجاته ، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام ، وأما أن توجد مجتمعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير ، الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني " (١)

لقد أشار الخطابي إلى النظم وأعطى اللفظة أهميتها ضمن المكان المناسب لها ، لقد صب اهتمامه على الأمور المهمة في النظم وهي اللفظ الحامل للمعنى والمعنى القائم باللفظ والنظم الذي يربط الألفاظ بالمعنى ، وهذه الأمور الثلاثة التي تجعل الأهمية للنظم .

* فالألفاظ في النص القرآني تتميز بعدة أمور منها :

أولاً : موافقتها السياق .

ثانياً: موافقتها المعنى .

أولاً : الدقة في اختيار اللفظ من حيث موقعها في السياق :

إن ما يهم المتلقي من دراسة الألفاظ هنا ، هو الدلالات التي تحملها من خلال سياقها ، فمثلاً نجد أن النص القرآني قد فرق بين المأوى والنزل مثلاً ، ففي استخدام النزل قد سبقها استعمال الإعداد لهذا النزل وفي ذلك إشارة لطول المدة ، يقول تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

١ - الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ،

يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١﴾ ، وبالمقابل يستخدم لفظة المأوى وهو المكان الذي لا يحتاج إلى تهيئة وإعداد إنما يؤخذ كما هو لوضع الكافرين فيه ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) ، وكذلك استخدم النص القرآني لفظ مَثْوَى " مَثْوَى الرَّجُلِ مَنْزِلُهُ " (٣) ، للتعبير على استقرار الكفار في جهنم وفيه يقول تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ . (٤)

وكذلك يجد الباحث في آيات الجحيم بعض الألفاظ التي تعطي بعداً مكانياً للجحيم أفقياً وعمودياً لموقعها أي العمق والاتساع ، فأما البعد العمودي (العمق) ، نتعرف عليه من خلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ (٥) فالأصل هو القعر ، " منبتها في قعر جهنم " (٦) ، فهي تأخذ دلالة العمق للجحيم ، حيث يقول تعالى في ذلك مما يعطي دلالة العمق للجحيم : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٧)

وفي الحديث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لو أن رصاصة مثل هذه ، وأشار إلى الجمجمة ، أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرُهُ خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ،

١ - سورة الكهف : ١٠٢

٢ - سورة آل عمران : ١٠٢

٣ - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : ثوى

٤ - سورة الزمر : ٣٢

٥ - سورة الصافات ٦٤

٦ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٥ ، ص : (١٥) .

٧ - سورة الحاقة : ٣٠ - ٣٢

ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها". (١)

أما البعد الأفقي (اتساع الجحيم) فنلاحظه في قوله تعالى :

﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢)

وقوله تعالى :

﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (٣)

فالسواء هو الوسط كما ورد في المعجم " سواء الجحيم أي في وسط الجحيم(٤) ، " قوله تعالى فرآه في سواء الجحيم وإنما قيل للنصفة سواء لأن عدل الأمور أفضلها وأوسطها " . (٥) فجهم حسب النص القرآني واسعة الأطراف ، وهي تتسع لجميع الكافرين ولا تضيق بهم ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ . (٦)

وفي الحديث عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أتدري ما سعة جهنم ؟ قلت لا ، قال : أجل والله ما تدري ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (٧) ، قالت : قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال : " على جسر جهنم " . (٨)

١ - محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى ، جامع الترمذي ، دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٩ م : رقم الحديث ٢٥٨٨

٢ - سورة الصافات : ٥٥

٣ - سورة الدخان : ٤٧

٤ - ابن منظور ، لسان العرب : مادة : سوى

٥ - البغوي ، معالم التنزيل ، ج ١ ، ص : (٣١١) .

٦ - سورة ق : ٣٠

٧ - سورة الزمر : ٦٧

٨ - الترمذي ، جامع الترمذي ، رقم الحديث : ٣٢٤١

أما بالنسبة لشجرة الزقوم ، فإن المنظور الإنساني للشجر بصفة عامة ، ينبع لما هو في ذهنه على سبيل المحاكاة ، سواء من خلال المنبت ومكانه أو العوامل المساعدة التي تقدمها الطبيعة للشجر ، إلا أن النص القرآني بعظيم تصويره يفاجئنا برسم جميل ، أخذاً الخطوط العامة لما هو مهم ، تاركاً الأمور الجزئية يتحكم بها كيف شاء ، فمثلاً من الخطوط العامة أنه اتخذ لشجرة الزقوم الشكل من خلال ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ﴾ والمكان للإنبات وهو ﴿أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ، وكذلك الغذاء لتلك الشجرة وهو النار ، أما الجزئيات التي اتخذها النص القرآني وسيلة للعذاب النفسي فنجدها في شكل الثمر وطعمه .

إذن ، هي شجرة في المعنى العام لها الدال على الخير والفائدة في الدنيا ، ولكن هذه الشجرة لها خصوصياتها في الآخرة ، فهي تتفق مع الصورة العامة كما عهدناها في الدنيا ، لها شكل ومكان للإنبات وغذاء وثمر وطعم ... ، ولكن الذي يدخل المتلقي في حيرة تصورية خاصة ، هي كيف تنبت هذه الشجرة في وسط النار ، لأن الشجر والنار لا يتعايشان حسب المفهوم العام الذي يسيطر على أفكارنا ، فكلام من الشجرة والنار حياته مرهونة بموت الآخر ، وهذا هو الإبداع التصويري للقرآن ، أنه أوجد النقيضين في الدنيا والذي لا يمكن لنا أن نتصوره في حياتنا ، يتم بعضهما بعضاً في الآخرة ، وكل منهما يساعد الآخر على النمو .

نحن أمام جمالية خلاقة للإبداع التصويري ، لم يترك القرآن أي مجال إلا نقله بأسلوب يتلاءم ونفسية القارئ ، تنتقل الصورة إلى ذهنه بأسلوب سلس شفاف ، لتسيطر بدورها على عقليته وتفكيره ، وبذلك تكون قد أدت الغرض الذي تريده .

فالقرآن الكريم ينقل القارئ بوساطة الكلمات والجمل والعبارات إلى عالم الصور ، ويصبح القارئ وهو يقرأ كأنه ينظر إلى صور متحركة ضمن الموضوع ، فالشجرة وُجِدَتْ في أصل الجحيم ، وقد عُذِّيت بالنار ، ومع ذلك يستعمل القرآن الفعل المضارع (تخرج) للدلالة على الاستمرارية في الخروج ، فهي لم تقف عند حد معين في النمو ، إنما تتزايد دائماً ، وفي دلالة الزيادة في النمو دلالة على تزايد أهل الجحيم باستمرار .

ونجد كذلك دلالة على سمو الشجرة وارتفاعها من خلال استخدام القرآن للطع على أنه اسم ثمرها ، والمعروف أن الطلع يطلق على ثمار النخيل ، قال تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ بِأَسِقَاتِ لَهَا

طَلَعُ نَضِيدٌ ﴿١﴾ ، واستخدام الفعل المضارع تخرج مع الطلع فيهما زيادة في الطول مع زيادة في الثمر ، والدالتان السابقتان تكونان دلالة جديدة تدل على تزايد أهل الجحيم باستمرار كما أسلفت سابقاً .

يقول تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ *
 إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ
 لَأَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَيُونَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ (٢)

فأول ما نلاحظه من النص القرآني أنه قد منح الزقوم صفة الشجرة ، وأن لهذه الشجرة طلع يشبه رؤوس الشياطين ، فالنص القرآني لا يأتي بوصف إلا أن يكون ذا مضمون دقيق ، وهذا الوصف لم يكن في وصف الأطعمة السابقة ، وإنما اكتفى بذكر أسمائها أو صفاتها ، ولو عدنا إلى وصف الزقوم لرأيناه للفاكهة دون غيرها ، وعلى هذا تكون فاكهة أهل النار هي الزقوم ، والدليل على ذلك أن النص القرآني أتى بوصف شجرة الزقوم بعد أن ذكر فاكهة أهل الجنة في سورة الصافات ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ أَوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٣)

فالنص القرآني لم يأت على طعام أهل الجنة وإنما أتى على فاكهتهم ، " ففسر الرزق بالفواكه" ، (٤) ليبين أن لأهل النار فاكهة كما لأهل الجنة ولكن النوع والطعم والشكل مختلف ، فأهل الجنة ينعمون بفاكهتهم وأهل النار يعذبون بها ، وشبيه من ذلك نجده في سورة الدخان وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ (٥)

١ - سورة ق : ١٠

٢ - سورة الصافات : ٦٢ - ٦٦

٣ - سورة الصافات : ٤١ - ٤٣

٤ - فاضل صالح السامراني ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ص : (٦٤) .

٥ - سورة الدخان : ٤٣ ، ٤٤

فبعد أن وصف الزقوم بأنه شجر شرع بوصف فاكهة أهل الجنة وفي هذا السياق دلالة على ترابط المعنى من خلال السياق ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ (١).

وكذلك أطلق النص القرآني على ثمر شجرة الزقوم اسم الطلع وفي هذا الاسم دلالة فنية جميلة ، فقد أعطى شجرة الزقوم السمو أي الارتفاع بوساطة تسمية ثمرها بالطلع ؛ لأن الطلع موجود في أعلى النخيل ، والمعلوم لدينا أن الطلع يطلق على ثمار النخيل دون غيره كما ورد في النص القرآني. (٢)

وسمة ثانية أنه شبه ثمرها برؤوس الشياطين ، ولم يشبها بالشيطان كاملاً ، وإنما اختار الرأس لما يتسم به من قباحة المنظر ، ولم يبق. النص على صورة واحدة للشيطان إنما قال ﴿رُعُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ، ولا بد لهذا التشبيه من دلالة يكون تأثيرها نفسياً على آكليها ، لأن الثمار يُقدم كما هو دون الحاجة إلى التغيير في شكله كما يكون في الطعام العادي بعد الطبخ .

ومن الألفاظ التي تناولها النص القرآني لتأكيد العذاب بالطعام للمُعذِّبين ، أنه أتى باسم الفاعل ، ﴿لَا كِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ﴾ أن الجملة الاسمية فإنهم لآكلون منها فمالئون ، تدل على الثبات والتحقق ، وشبيهه من ذلك ما يجده الباحث في قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ * لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ *

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾ (٣)

١ - سورة الدخان : ٥٥

٢ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الأنعام : ٩٩

وقوله تعالى : ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا فَضِيمٌ ﴾ سورة الشعراء : ١٤٨

وقوله تعالى : ﴿ وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ سورة ق : ١٠

٣ - سورة الواقعة : ٥١ - ٥٥

أما بالنسبة للفئات التي يُقدم لها طعام الزقوم فهم الظالمون والآثمون وفي ذلك يقول

تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ (١)

، ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْآثِمِ ﴾ (٢)

ففي آية الصافات جعل الله - عز وجل - الزقوم فاكهة للظالمين الذين هم الكافرون كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) ، " والكافرون هم الظالمون فإنه يعني تعالى

ذكره بذلك والجاحدون لله المكذبون به وبرسله هم الظالمون " (٤) ، وفي قول الطبري بيان على صفة الظالمين ، لأن لفظة الظالمين فيها بعض الإبهام لعدم المعرفة الكاملة بمعناها أو سبب إطلاق هذا الاسم على أصحابها ، وهذا مما جعل عطاء بن دينار يقول : " الحمد لله الذي قال : والكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون " . (٥)

أما في آيات الدخان فقد كانت الآيات أكثر تخصيصاً لآكل الزقوم ، إلا أن هذا المدلول ذو معنى أكبر ، فالمقصود به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده " أن الأثيم المتهادي في الإثم " (٦) ، " أي الكثير الأثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده دون ما يعمه ... والمراد به جنس الكافر " . (٧)

فتنوع الطعام لأهل جهنم قد أدى إلى تنوع الشراب لهم ، ولم يبق النص القرآني على نوع واحد من أنواع الشراب بل يصف عدة أنواع مع التمييز لشاربيها ، وأول ما يطالعنا به النص القرآني من أنواع الشراب هو الحميم ، وفي هذا الموضوع تتبعت الآيات الواردة في النص القرآني والتي تذكر الحميم الواحدة تلو الأخرى من أجل التمييز بين هذه المسميات ؛ لأن النص القرآني قد ذكر لفظ الحميم في أكثر من موقع ولكنه يعطي معنى لا ينسجم مع موضوعنا وإن تشابهت الحروف والألفاظ ، ولكن الذي يهمنا هو ما يتناول موضوعنا .

١ - سورة الصافات : ٦٣

٢ - سورة الدخان : ٤٣ ، ٤٤

٣ - سورة البقرة : ٢٥٤

٤ - الطبري ، جامع البيان عن أي القرآن ، ج ٣ ، ص : (٤)

٥ - المصدر السابق ، ج ٣ ، ص : (٢٦٨) ، انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص : (٣٠٥) .

٦ - أبو هلال العسكري ، الفروق في اللغة ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م : ص : (٤٢٢) .

٧ - الألوسي ، روح المعاني ، ج ٢٥ ، ص : (١٣٢) .

من أنواع الشراب الذي يُقدم لسكان الجحيم هو الحميم ، وهو ماء شديد الغليان لا يستطيع الإنسان أن يصوره من شدة غليانه ، وجاء في موقع ومكان يغني عن الوصف ، وبهذا المنظر يظهر المُعذَّب بعذابين : داخلي ناجم عن الماء الحار وخارجي نتيجة حر الجحيم ، فإذا لا يستطيع الصبر على النار لشدتها وإذا أراد أن يطفئ عطشه أُغِيثَ بماء حار ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (١) .

إذا أول خاصية لهذا الشراب أنه حار لا يفي بالغرض الذي طلب من أجله ، " أي حار شديد الغليان إذا أدنى منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعائهم وأخرجها من دبورهم " (٢) .

وشبيهه من ذلك نجده في سورة يونس ، يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ

حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٣) ، فالنص القرآني دائما يمنح الشراب صفة

البرودة وخاصة في مشاهد الجنة ، يقول تعالى : ﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ

كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ (٤) ، أما شراب أهل النار فإنه بعكس شراب أهل الجنة لأنه يتصف

بالحرارة الشديدة فتزيدهم عذاباً إلى عذابهم .

أما شاربو الشراب الحار فهم القانطون من رحمة الله وهم الكافرون ، فنلاحظ أن النص القرآني قد وضح من خلال سياقه شاربي الحميم في آية الأنعام وهم المبلسون القانطون من رحمة الله بسبب طغيانهم وكفرهم " الإبلان معناه في اللغة القنوط وقطع الرجاء من الرحمة " (٥)

، ولو تتبعنا آخر آية الأنعام لوجدنا أن المبلسين جزء من الكافرين ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

وقوله تعالى في آخر آية يونس يرشدنا إلى أنهم هم الكافرون : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ ،

١ - سورة الأنعام : ٧٠

٢ - الطبري ، جامع البيان عن أي القرآن ، ج ١٦ ، ص : (٢٣٧) .

٣ - سورة يونس : ٤

٤ - سورة ص : ٥١ . ويقول تعالى : ﴿ الرِّجْسُ الَّذِي بَرِحْتَ هَذَا يُغْتَسَبُ نَارُهُ وَشَرَابُهُ ﴾ سورة ص : ٤٢

٥ - ابن منظور ، لسان العرب : مادة بلس .

فشراب الحميم هو شراب خاص بالكافرين .

ومن أطعمة أهل الجحيم إضافة للزقوم ، طعام (ذا غصة) ، فالنص القرآني أتى على وصف الطعام وذكر مفعوله على أكله ولم يأتِ على ذكر اسمه ، وفيه يقول تعالى :

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا * إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا

ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١) ، فهذا الطعام خاص بالمكذبين الذين أنكروا الرسل والآيات ،

والخطاب للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - و (المكذبون) هم " صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترف " (٢) .

ويلاحظ الباحث أن الآية الكريمة قد ورد فيها أنواع كثيرة من العذاب ، منها ما ورد باسمه ، ومنها ما ورد بصفته دون ذكر اسمه ، ومنها ما ورد بصفة الكثرة دون التخصيص .

لقد بدأت الآية بـ (ذرني والمكذبين) ، فأول صفة لهؤلاء التصقت بهم هي صفة التكذيب ، وقد قدمها النص القرآني لبيان سبب عذابهم ووصفه بهذه الشدة فيما بعد ، ثم انتقل النص القرآني إلى إظهار ما بهم من نعمة ، فأوضح أنهم أصحاب نعم ، ثم انتقل إلى توضيح ما ينتظرهم ، فبدأ في المرحلة الثانية بعرض أنواع العذاب ، وكانت البداية بـ (لدينا) خبر إن مقدم ، وقد قدم للأهمية ، وفي ذلك زيادة في التهويل على ما سيأتي ، أي ليس هذا كل العذاب ، وما نذكره جزءً يسيراً مما لدينا ، ثم استعرض أنواع العذاب ، فقدم الأنكال (القيود) لأنها تقيد الحرية " وسميت القيود أنكالاً لأنها يُنكل بها أي يُمنع " (٣) ، بعكس ما كانوا ينعمون به في دنياهم ، ثم انتقل إلى الجحيم بما فيه من تصلية ثم الطعام الذي لا ينعم أكله به وإنما يكون فيه شقاء وعذاب ، وختم (وطعاماً ذا غصة) الذي عرفنا سمته من خلال وصف النص القرآني له ولم نتعرف على اسمه ، فهذا الطعام يتميز بأنه ذو طابع العذاب بالنسبة لأكله ، " وطعاماً ذا غصة يقول وطعاماً يغص به أكله فلا هو نازل عن حلقه ولا هو خارج منه " (٤) ، وشبيه من ذلك آراء المفسرين . (٥)

وأبقى النص القرآني المجال مفتوحاً أمام مخيلة المتلقي حين ختم الآية بـ (وعذاباً أليماً) ، فلم يعرف العذاب وإنما أبقاه مبهماً ليقب مسيطراً على مخيلة المتلقي .

١ - سورة المزمل : ١١ - ١٣

٢ - الزمخشري ، الكشاف ، ج٤ ، ص : (٤٨٩) ، انظر : ناصر الدين البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٥ ، ص : (٤٠٧) .

٣ - ابن منظور ، لسان العرب : مادة : نكل

٤ - الظبيري ، جامع البيان عن أي القرآن ، ج٢٩ ، ص : (١٣٥) .

٥ - شهاب الدين أحمد بن محمد الهانم المصري ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، ج١ ، ص : (٣٢) ، انظر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٥ ، ص : (٤٠٧) ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٩ ، ص : (٤٦)

ثانياً : أنماط التركيب :

أ - الحذف .

الحذف ظاهرة أسلوبية يلتفت إليها الباحث في الصور الفنية وخاصة صورة الجحيم ، ويُعدُّ الحذف من الأساليب البلاغية ، وهو جزء فرعي من الإيجاز الذي يحتوي بدوره على القصر والحذف ، والحذف يُراد به " الإسقاط للتخفيف " (١) ، أو الغرض البلاغي ، فظاهرة الحذف تبدو واضحة في النص القرآني بما يصاحب ذلك من دلالة تدل على المحذوف ، وربما يقصد من الحذف التفضيم والتعظيم للموضوع المحذوف ، أو يكون الحذف للتخلص من الموضوع لطوله وتكراره ، ولذلك يُفضل الحذف في مواضعه ضمن دلالة خاصة ، وبهذه الدلالة يجذب الذهن إليها مما يؤدي إلى رفعة شأنها ، يقول القزويني " أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف ، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن ، فلا يقتصر مطلوباً أو مكروهاً إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عين شيء اقتصر عليه ، وربما خفف أمره عنده " (٢) .

فالنص القرآني قد احتوى ظاهرة الحذف ومع ذلك نجد فيه تنوعاً في المحذوفات ، ومن الأمثلة على حذف المفعول والتي توحى دلالة المقام عليه قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ

فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي

وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ

قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾

قال أبو مسعود : " فأخلفتكم أي موعدني على حذف المفعول الثاني أي نقضته جعل وعده

١ - محمد بن الطيب الباقلائي ، إيجاز القرآن ، ص : (٢٦٢) .

٢ - انظر : محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ط ١ ، ج ١ ، ص (١٧٧) .

٣ - سورة إبراهيم : ٢٢

كالإخلاف منه كأنه كان قادراً على إنجازهِ وأنى له ذلك " (١) ، فالمحذوف له دلالة واضحة وهو الموعد الذي أمّلهم به الشيطان لأتباعه والدلالة تغني عن وجود الأصل وهو المفعول .
وقد يحذف جواب لو للتنبيه على عظمة الأمر الذي ينتظرهم ولا يمكن إحاطته بوصف ،
وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (٢)

قال الزمخشري : " لو تعلمون محذوف الجواب يعني : لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين : أي كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلّتم بعلمها هممكم لعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ، ولكنكم ضلالاً جهلة ، ثم قال - لترون الجحيم - فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به ، وقد مرّ ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه ، وهو جواب قسم محذوف ، والقسم لتوكيد الوعيد ، وإن ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب " (٣) .

أي لو تفكرتم بالعذاب الذي ينتظركم لأيقنتم أنه لا بد منه ؛ لأنكم ابتعدتم عن طاعة الله ولذلك أصبح العذاب أمراً حتمياً لكم ، ولقد أوضح العذاب بعد ما أبهمه ليمنحه العظمة والفخامة لهول العذاب وقوته ، ولذلك عطفه بثم ، وفي حذف جواب لو دلالة على التعظيم للتخويف .
وهناك حذف المضاف أيضاً وفي النص القرآني كثير من هذا النوع ، نأخذ على سبيل المثال قوله تعالى :

﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤)

أي وقهم جزاء السيئات ، فقد حذف الجزاء وهو المضاف لتعظيم أمر التوبة عند الله ، " ويحتمل أن يكون الدعاء في دفع العذاب اللاحق من السيئات ، فيكون في اللفظ على هذا مضاف ، كأنه قال وقهم جزاء السيئات " (٥) .

وشبيهه من ذلك نجده في قوله تعالى :

﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ (٦)

- ١ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٥ ، ص : (٤٢) .
- ٢ - سورة التكاثر : ٥ - ٧ .
- ٣ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص : (٦٢٨) ، انظر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج٥ ، ص : (٥٢٤) .
- ٤ - سورة غافر : ٩ .
- ٥ - الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج٤ ، ص : (٦٨) ، انظر : أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج٧ ، ص : (٢٦٨) ، الشوكاني ، فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج٤ ، ص : (٤٨٢) ، الألوسي ، روح المعاني ، ج٢٤ ، ص : (٤٨) .
- ٦ - سورة التكاثر : ٦ .

أي : عذاب الجحيم ، لأن وعد الله لهم برؤيتهم للعذاب لا برؤيتهم للجحيم ، وذلك لأن المؤمنين موعودون أيضاً برؤيتها حيث يقول تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ

حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾. (١) ، وفي الحذف دلالة " التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن في

كل مذهب وتشوفه إلى ما هو المراد فيرجع قاصراً عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانه ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور " . (٢)

وفي الآية السابقة (آية التكاثر) كذلك جواب لقسم محذوف ، والتقدير والله لترون الجحيم في الآخرة ، فحذف لزيادة التهويل والتهديد ، " وقوله لترون الجحيم ، جواب لقسم مضمراً أكد به له الوعيد ، وشدد به التهديد ، وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيماً ، ثم لترونها المشاهدة والمعاناة عين اليقين ، أي الرؤية التي هي النفس اليقين ، فإن علم اليقين المشاهدة أقصى مراتب اليقين " (٣)

ومن أمثلة حذف الخبر ، قوله تعالى :

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٤)

فقد حذف الخبر شبه الجملة (في النار) " وما بعد لولا مرفوع بالابتداء عند سيبويه لكننت من المحضرين ، قال الفراء : أي لكننت معك في النار محضراً " . (٥) ، وقد حذف الخبر للتهويل والتهديد .

أما حذف القول فله دلالة واضحة جلية في النص القرآني ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ (٦)

١ - سورة مريم : ٧١

٢ - انظر : محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، د. ط ، ١٣٩١ هـ ، ج ٣ ، ص : (١٠٤) .

٣ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : (١٩٥ ، ١٩٦) ، انظر : الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج ٦ ، ص : (١٣٣) .

٤ - سورة الصافات : ٥٧

٥ - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص : (٨٣) .

٦ - سورة الحاقة : ٣٠ ، ٣١

" (خذوه) مقول لقول محذوف موقعه في موقع الحال من ضمير (فيقول يا ليتني لو أوت كتابيه) ، والتقدير : يقال : خذوه . ومعلوم من المقال أن المأمورين بأن يأخذوه هم الملائكة الموكلون بسوق أهل الحساب إلى ما أعد لهم " . (١)

فالسباق دائماً يكون هادياً لما هو محذوف ، فالقائل الأمر هو الله أي (يقول) خذوه .
ونظير ذلك قوله تعالى :

﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ (٢)

يُلاحظ أن التقدير (يقول خذوه فاعتلوه) ، والقول عائد إلى الله عز وجل ، فدلالة الحذف تعود للتفخيم والإعظام لصاحب القول " التفخيم والإعظام قال حازم في منهاج البلغاء. إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعدد أشياء فيكون في تعدادها طول وسأمة فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال قال وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس " . (٣)

ونظير ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤)

أي يقولان : ربنا تقبل منا إنك السميع العليم .

١ - ابن عاشور ، التحرير والتوير ، ج ٢٩ ، ص : (١٣٦ ، ١٣٧) .

٢ - سورة الدخان : ٤٧ ، ٤٨

٣ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٣ ، ص : (١٠٣ ، ١٠٤) .

٤ - سورة البقرة : ١٢٧

ب (التعريف والتكثير : -

لقد تنوعت الأساليب القرآنية في مواطن متنوعة ، وقد ظهر ذلك جلياً في الأداء القرآني كاملاً ، وذلك لأسباب متنوعة ولأهداف شتى .

وأما التعريف والتكثير فسوف أدرسه - إن شاء الله تعالى - مع شواهد من النص القرآني بعد أن نفرق بين المصطلحين في المعنى ، فالمعرفة كما نلاحظها من اسمها هي اسم دال على شيء بعينه ، أما النكرة فلا تختص بشيء بعينه وإنما تدل على العموم بما يكون الشيء المذكور من أنواعه ؛ فالمعرفة مقيدة والنكرة مطلقة " المعرفة اسم دل على معين ، والنكرة اسم دل على غير معين " (١) ، ومع ذلك نجد لكل نوع منهما المقام الذي يليق به وبالموقع الذي يختص به دون غيره أيضاً ، يقول الجاحظ أثناء الحديث عن التعريف والتكثير : " اعلم أن لكل منهما مقاما لا يليق بالآخر " (٢) ، ولم يكتف الجاحظ بما سبق بل جعل لكل منهما دلالة ، مثل (الوحدة ، والنوعية ، والتعظيم ، والتكثير ، والتحقير ، والإهانة) . (٣)

فالاسم النكرة عندما يدخل عليها (ال) فإنه يصبح معرفة ، و(ال) " إما أن تكون لتعريف الجنس وتسمى الجنسية ، وإما لتعريف حصّةٍ معهودةٍ منه ، ويقال لها العهدية " . (٤)

وللتفريق بين المصطلحين ، فر(ال الجنسية) تختص بالجنس سواء من ناحية الشمولية ، أي تستغرق الجنس بأكمله ، أي تشمل جميع خصائص الجنس ، " والاستغراقية ، إما أن تكون لاستغراق جميع أفراد الجنس . وهي ما تشمل جميع أفراده ... ، وإما لاستغراق جميع خصائصه " وأما " (ال العهدية) إما أن تكون للعهد الذكري ... ، وإما أن تكون للعهد الحضوري ... ، وإما أن تكون للعهد الذهني " . (٥)

- ١ - مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، راجعه ونقحه : عبد المنعم خفاجة ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا : بيروت ، ط ٣٠ ، ١٩٩٤ ، ص : (١٤٧) .
- ٢ - عمرو بن بحر (أبو عثمان الجاحظ) ، البيان والتبيين ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص : (٥٥٦) .
- ٣ - انظر المصدر السابق ، ج ١ ، ص : (٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨) .
- ٤ - مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ص : (١٤٧) .
- ٥ - المرجع السابق ، ص : (١٤٧ ، ١٤٨) .

* التعريف :

لقد تلونت أساليب المعارف في القرآن الكريم وخاصة في صورة الجحيم (*)
فقد جاء النص القرآني بالألف واللام للتعريف كما في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (١)

يقول الزمخشري : " والمعنى فإن الجحيم مأواه كما تقول للرجل : غَضَّ الطرفَ تريد : طرفك ، وليس الألف واللام بدلاً من الإضافة ، ولكن لما عَلِمَ أن الطاغِي هو صاحبُ المأوى ، وأنه لا يغضُّ الرجلُ طرفَ غيره تركت الإضافة ، ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف ؛ لأنهما معروفتان " . (٢)

بينما يرى أبو مسعود أن الألف واللام في المأوى بدل من الإضافة " فإن الجحيم هي المأوى ، أي هي مأواه ، سد مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغِي كما في قولك غَضَّ الطرف ، ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لأنهما معروفتان " . (٣)
وشبيهه من رأي أبي مسعود رأي البيضاوي ومكي القيسي . (٤)
وشبيهه ذلك ما يجده الباحث في قوله تعالى :

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ (٥)

يقول القرطبي : " والألف واللام في الجحيم تدل على الكناية أي في جحيمه ، أي في جحيم ذلك البنيان " (٦) ، وعلى رأي القرطبي سار المفسرون . (٧)

* نتناول التعريف بال ، الإضافة .

١ - سورة النازعات : ٣٧ - ٣٩

٢ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص : (٥٤٢) .

٣ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : (١٠٤) .

٤ - انظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٥ ، ص : (٤٤٩) ، ومكي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٢ ، ص : (٧٩٩) .

٥ - سورة الصافات : ٩٧

٦ - القرطبي ، الجامع لأحكام البيان ، ج ١٥ ، ص : (٩٧) .

٧ - انظر : البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٥ ، ص : (١٩) ، أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٧ ، ص : (١٩٩) .

* (التنكير :

وقد جاء التنكير في آيات الجحيم في مواقع دقيقة ذات أبعاد دلالية خاصة ، كل كلمة نكرة تحتوي على معنى خاص يساعدها على بيانه ووضوحه السياق التي كانت ضمنه ، وهذا يقع ضمن الأسلوب في النص القرآني .

ومن دلالات التنكير التعظيم وبيان الشدة في العذاب مع التخصيص ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا

* وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١)

ف نجد في تنكير العذاب تلك الشدة التي يوحيها النص له " والتنكير في قوله (وعذاباً) يدل على أن هذا العذاب أشد مما تقدم وأكمل " . (٢)

ويرى الباحث أن في تنكير الجحيم والعذاب فيهما ما يدل على الخصوصية ، أي أن (أنكالا وجحيماً ... وعذاباً) معدة للمكذبين ، وشبيهه من ذلك ما نجده في قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ (٣)

فقد جاءت السعير نكرة ، دلالة تفيد التخصيص ، فهو عذاب للذين يكفرون بالله ورسوله ، يقول الزمخشري : " ونكر ﴿ سعيراً ﴾ لأنها نارٌ مخصوصة " . (٤) ونظير ذلك نجده في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

يُفْسِدُونَ ﴾ (٥)

فلفظة عذاب الأولى جاءت نكرة لبيان أن هناك نوعاً خاصاً من العذاب لأناس معينين ، وفي ذلك يقول الجوزي : " قوله تعالى زدناهم عذاباً فوق العذاب إنما نكر العذاب الأول لأنه نوع

١ - سورة المزمل : ١١ - ١٣

٢ - فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ج ٢٩ ، ص : (١١٨) .

٣ - سورة الفتح : ١٣

٤ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص : (٢٣٠) .

٥ - سورة النحل : ٨٨

خاص لقوم بأعيانهم وعرف العذاب الثاني لأنه العذاب الذي يعذب به أكثر أهل النار فكان في شهرته بمنزلة النار في قول القائل نعوذ بالله من النار وقد قيل إنما زيدوا هذا العذاب على ما يستحقونه من عذابهم بصددهم عن سبيل الله " (١)

وقد يدل التنكير على التهويل كما في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (٢)

يقول أبو مسعود : " وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى " . (٣)

١ - عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج٤ ، ص : (٤٨١) .

٢ - الانفطار : ١٤

٣ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا العقل السليم ، ج ٩ ، ص : (١٢٢) .

د - الجملة الاسمية والجملة الفعلية : -

أ (الجملة الاسمية : -

إن صورة الجحيم في النص القرآني ما هي إلا إخبار عما سيكون في المستقبل ، وبما أن هذه الصور قد أصبحت في عداد الثبوت والتيقن ، فلا بد إذن أن يكون الحديث عنها في صياغة الجمل الاسمية ؛ لأن الجمل الاسمية ثابتة في الخبر ، يقول الجاحظ : " إن الجملة الاسمية أثبت وأكد من الجملة الفعلية " (١) ، ويقول الزمخشري (٥٣٨هـ) : " الجمل الاسمية أكد من الفعلية " (٢) ، ويقول الجرجاني (٤٧١هـ) في الحديث عن الخبر إذا كان اسماً : " أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء " (٣) ، يقول أبو مسعود (٩٥١هـ) في الموضوع نفسه : " أن الجمل الاسمية الإيجابية تفيد دوام الثبوت " (٤) .

والجمل الاسمية هي الجمل التي تتكون من مبتدأ وخبر ، أو ما كان أصله مبتدأ وخبراً ، " الجملة الاسمية : ما كانت مؤلفة من المبتدأ والخبر ، ... أو مما أصله مبتدأ وخبر " (٥) .

ولو أنعمنا النظر في آيات الجحيم لخلصنا إلى أن الخبر أصبح في عداد المؤكد ، ونلمس هذا التأكيد من خلال استخدام النص القرآني للجمل الاسمية عندما يخبر المتلقي عن مصير أولئك الكافرين ، وبيان حالهم في الجحيم ، وهنا تبرز الدلالة من خلال استخدام الجمل الاسمية التي توحى بالثبات لتلك الأخبار .

ومن دلالة الثبوت قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٦)

١- عمرو بن بحر ، (أبو عثمان الجاحظ) ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص : (٥٨٠) .

٢- الزمخشري ، الكشاف ، ج٣ ، ص : (٥٣٢) .

٣- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : (١٧٤) .

٤- أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا العقل السليم ، ج١ ، ص : (٤٠) .

٥- مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ج٣ ، ص : (٢٨٥) .

٦- سورة المائدة : ١٠

فها هم الكافرون أصبحوا من أهل الجحيم ، وقد أضيفت الجحيم إلى أصحاب للدلالة على المصاحبة الدائمة .

ونظير ذلك نجده في قوله تعالى :

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١)

أولئك مبتدأ وأصحاب الجحيم خبره ، فجاءت الجملة الاسمية لتفيد دوام الكافرين في الجحيم ، وفي ذلك يقول البيضاوي : " والصحبة تدل على الملازمة " (٢) ، ويضيف النسفي قائلاً : " أي لا يفارقونها " . (٣)

أما النفي في الجملة الاسمية فنجد في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ (٤)

ففي الآية الأولى نجد أن الجملة الاسمية قد أكدت بالحرف إن ، يقول أبو مسعود في مؤكدات الجملة الاسمية : " مؤكدات الجملة الاسمية ، الأول : إن " . (٥)

يلاحظ أن الجملة الاسمية قد أكدت مرتين ، أولهما : بكونها جملة اسمية تدل على الثبات ، وثانيهما : أكدت الحرف إن ، وهناك تأكيد ثالث في اللام المرحقة (لفي جحيم) .

ويقول أبو مسعود : " وما هم عنها بغائبين طرفة عين فإن المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيد من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه و ما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سموها في قبورهم " (٦) .

١ - سورة المائدة : ٨٦ ، الحج : ٥١

٢ - البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٥ ، ص : (٣٠٢) .

٣ - النسفي ، تفسير النسفي ، ج ١ ، ص : (٢٧٣) .

٤ - سورة الانفطار : ١٤ - ١٦

٥ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٢ ، ص : (٤٠٥) .

٦ - المصدر السابق ، ج ٧ ، ص : (٤٥) .

إذا الجملة الاسمية الإيجابية لها دلالة خاصة تفيد دوام الثبوت والاستمرار ، ولكن إذا دخل حرف النفي عليها تصبح لها دلالة مغايرة لما كانت عليه وهي في حالة الإيجابية ، وفي هذه الحالة تصبح دلالتها تفيد دوام النفي لا نفي الدوام .

وشبيهه من ذلك قوله تعالى :

يقول أبو مسعود : " ولا هم ينظرون ... وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النفي واستمراره أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون فيعتذروا أو لا ينظر إليهم نظرة رحمة " . (١)
والقرآن الكريم غني بالجملة الاسمية الدالة على النفي . (*)

١ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص : (١٨٣) .

* ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الثَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ سورة المائدة : ٣٧ ، فنجد في هذه الآيات أن الجملة الاسمية المنفية قد جاءت في دوام الانتفاء ، يقول أبو مسعود : " وقوله ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾ فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرتفع قيده " . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو مسعود ، ج ٣ ، ص : (٢٧) .

ب (الجملة الفعلية : -

أما الجملة الفعلية فهي تلك الجمل التي تتكون من فعل وفاعل وأشباه ذلك من الفعل ونائب الفاعل أو الفعل الناقص واسمه وخبره " الجملة الفعلية : ما تألفت من الفعل والفاعل ، أو الفعل ونائب الفاعل " (١) .

إن استعمال النص القرآني للجمل الفعلية يبرز فيها دلالات وأبعاد لا نجدها في الجمل الاسمية ، فرغم أن الجمل الاسمية تدل على الثبوت ، فإن الجمل الفعلية تتكون في طياتها دلالتان ، فأولهما نجدها بشكل عام للجملة الفعلية وهي تجدد الحدث واستمراره . وثانيهما نجدها في دلالة كل فعل على حدة ؛ فدلالة الفعل الماضي تختلف عن دلالة كل من الفعل المضارع والأمر .

إن التعبير بصيغة الماضي يحتوي على مدلول كائن لا محالة ، ويتم ذلك في الأمور المخيفة التي توعدنا الله - عز وجل - للكافرين ، وفي ذلك يقول الزركشي : " ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهددة المتوعد بها فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه " (٢) .

وبالإضافة إلى ما ذكرت سابقاً ، نلاحظ أن الجمل الفعلية تدلي بدلالة خفية لا يمكن ملاحظتها إلا بعد طول نظر وتمعن ، وهذه الدلالة إظهار لقوة المخبر وعظمته ، وبما أن النص القرآني هو كلام الله - عز وجل - ، نستنتج أن الجمل الفعلية تصدر عن الأقوياء في بعض المرات معتمدة على أن حاصل القول قد وقع بالفعل : " الجملة الفعلية تصدر عن الأقوياء الخالص على أن المقصود حاصل بدون التأكيد " (٣) ، ويقول الألوسي : " وفي مجيء المستقبل بصيغة الماضي لنتزيلة منزلة المحقق من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر " (٤) .

من خلال استخدام النص القرآني للجمل الفعلية بوساطة الفعل الأمر ، ندرك أن هذا الاستخدام يكون في آيات الجحيم ضمن ثلاثة أبعاد : أحدهما للتهكم والسخرية والتحقير والإهانة ، وثانيهما تأكيد الخبر في المستقبل ، وثالثهما : الرجاء والأمل .

أما استخدام فعل الأمر بما يحمل معه من دلالة التهكم والسخرية أثناء الخطاب فنجد

في قول تعالى :

١ - مصطفى الغلايني ، جامع الدروس العربية ، ج٣ ، ص : (٢٨٤) .

٢ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص : (٣٧٢) .

٣ - الشوكاني ، فتح القدير ، ج١ ، ص : (٥٨٠) .

٤ - الألوسي ، روح المعاني ، ج٢٦ ، ص : (٨٨) .

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (١)

يقول الزمخشري : " يقالُ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ على سبيل الهُزُوِّ والتهكُّمِ بمن كان يتعزَّرُ ويتكرم على قومه " . (٢)

وشبيهه من ذلك في استخدام فعل الأمر نلاحظه في قوله تعالى :

﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ

وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ (٣)

فالانطلاق بما يصاحبه من سرعة يكون نحو الشيء الذي يتمناه الإنسان ، فلو جيء هذا اللفظ في دعوة أهل الجنة لقلنا أن هناك شيئاً حسناً يتسابق نحوه المنطلقون ، أما أن يكون في أمر أهل الجحيم في الانطلاق ، وإلى العذاب فهنا يكون التقرُّيع والتوبيخ ، يقول الشوكاني : " انطلقوا إلى ما كنتم هو بتقدير القول أي يقال لهم توبيخاً وتقرُّيعاً انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا تقول لهم ذلك خزنة جهنم أي سيروا إلى ما كنتم تكذبون به من العذاب وهو عذاب النار انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعَبٍ أي ظل من دخان جهنم قد سَطِعَ ثم افترق ثلاث فرق تكونون فيه حتى يفرغ الحساب وهذا شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب تشعباً قرأ الجمهور انطلقوا في الموضوعين على صيغة الأمر على التأكيد " . (٤)

ونظير قوله تعالى :

﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (٥)

فقد جاء فعل الأمر (فأهدوهم) على سبيل السخرية والتهكُّم بوساطة المعنى اللفظي ، " وقوله تعالى فأهدوهم إلى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم " . (٦)

أما الجانب الثاني ، وما يلزم ذلك الاستخدام لفعل الأمر من دلالة التهديد والوعيد ، وتأكيد الخبر في المستقبل نجده في قوله تعالى :

- ١ - سورة الدخان : ٤٩
- ٢ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ، ص : (١٨٣) .
- ٣ - سورة المرسلات : ٢٩ - ٣١
- ٤ - الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص : (٣٥٩) .
- ٥ - سورة الصافات : ٢٣
- ٦ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ١ ، ص : (١٧) .

﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ (١)

فالتهديد والوعيد بالنار والاهانة والتحقير بسوء المعاملة مصير من لم يلتزم شرع الله - عز وجل - ، يقول الزمخشري : " يقال للزبانية ﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ ﴾ فقودوه بعنف وغلظة وهو أن

يؤخذ بتليبب الرجل ، فيجرّ إلى حبس أو قتل ، ومنه العتل وهو الغليظ الجافي " (٢)
وقد يأتي فعل الأمر لتأكيد خبر ما في المستقبل ، وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ (٣)

فقد جاء فعل الأمر تأكيدا لما أعد الله للكافرين في المستقبل من عذاب ، وشبيهه من ذلك قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ

الْحَمِيمِ ﴾ (٤)

ويأتي فعل الأمر بصيغة الرجاء والدعاء ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٥)

يرى الباحث في الفعلين الماضيين (فاغفر ، وقهم) رجاء ودعاء لله في إبعاد المؤمنين عن عذاب الجحيم ، لأن فعل الأمر من الأدنى إلى الأعلى يكون في مرحلة الرجاء ، بعكس الأمر من الأعلى للأدنى الذي فيه التأكيد على الخبر ، إذن ، فإن دلالة الفعل تظهر في سياقها ، إذ لا توجد قاعدة ثابتة إلا السياق في فهمنا لدلالة فعل الأمر .

١ - سورة الدخان : ٤٧ ، ٤٨

٢ - الزمخشري ، الكشاف ، ٤ ج ، ص : (١٨٢) .

٣ - سورة الصافات : ٩٧

٤ - سورة الدخان : ٤٧ ، ٤٨

٥ - سورة غافر : ٧

أما الفعل الماضي فيتحدث عن المستقبل بصيغة الماضي ، وفي ذلك دلالة على الثبوت في حصوله ، أو يكون فيه نقل نوعي للحياة ، حيث يتحدث عن مستقبل المستقبل ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٢)

فاستعمال الفعل الماضي (ووقاهم) يدل على إجراء المستقبل مجرى الماضي ، وقد استعمل النص القرآني صيغة الماضي لتأكيد وقوع الأمر ، " فيؤتى بصيغة الماضي مراداً به الماضي المتوقع تنزيلاً للمتوقع منزلة ما وقع ، فلا يكون تعبيراً عن المستقبل بلفظ الماضي ، بل جعل المستقبل ماضياً مبالغة " (٣)

ونظير ذلك نجده في قوله تعالى :

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى :

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ (٥)

إلا أن في آيتي (الشعراء ، والنازعات) استعمال للفعل الماضي المبني للمجهول ، وفي ذلك دلالتان ، إحداهما : تدل على حتمية وقوع الحدث باستخدام الفعل الماضي ، وثانيهما : تدل على عنصر الظهور بالنسبة للجحيم ، بما يصاحب ذلك من عنصر المفاجئة للكافرين .

١ - سورة الدخان : ٥٦

٢ - سورة الطور : ١٨

٣ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٣ ، ص : (٣٧٢) .

٤ - سورة الشعراء : ٩١

٥ - سورة النازعات : ٣٦

فقد أتى النص القرآني بصيغة الماضي دلالة على تحقق البروز للجحيم لمن يراها ، يقول أبو مسعود في تعليقه ﴿وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ﴾ : " وصيغة الماضي للدلالة على التحقق " . (١)

أما الفعل المضارع في الجملة الفعلية فينسجم مع الاستحضار والتصوير وتجدد الحدث من وقت لآخر ، يقول الزمخشري : " لأن يستهزئ يُفِيدُ حدوث الاستهزاء وتجذُّده وقتاً بعد وقتٍ " (٢) ، فهو يستحضر المواقف التي يتكلم عنها ويصورها بأسلوب عجيب من خلال بث الحياة فيها ، ويضعها أمام عين المتلقي بصورة حية ، تدفع المتلقي إلى أن يتمثلها بخياله وكأنه يراها بعينه ، فالفعل المضارع يدل على التجديد والاستمرار ، يقول صادق قنبيبي : " فالأفعال المضارعة تستعمل في المواقف التي تفيد الاستمرار والتجديد في الأعمال ، أو تفيد استحضار الصور البعيدة وتقريبها ، حتى كأنها ماثلة أمام العين تتملأها وترأها ، سواء أكانت تلك المشاهد مما وقع في الماضي ، أم مما يقع في المستقبل " . (٣)

ويضيف صادق قنبيبي : " وقد تكون الصورة المستحضرة مما يقع في المستقبل ، فيعمل الفعل المضارع عمله في تقريبها حتى كأنها ماثلة أمام الأنظار " . (٤) وفي ذلك يقول تعالى :

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٥)

نجد في الآية السابقة مشهداً يتم في المستقبل يستحضره النص القرآني ، ويحتوي على دلالة الاستمرارية من خلال الفعل (تخرج) ، فقد عبر النص القرآني عن ذلك المشهد بأنه كائن لا محالة ، وشبيه من ذلك قوله تعالى :

١ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : (١٠٥) .

٢ - الزمخشري ، الكشاف ، ج ١ ، ص : (٦٦) وذلك بعد تعليقه على قوله تعالى { الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون } سورة البقرة : ١٥

٣ - حامد صادق قنبيبي ، المشاهد في القرآن الكريم (دراسة تحليلية وصفية) ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٨٤ ، ص : (٤٠٠) .

٤ - المرجع السابق ، ص : (٤٠٣) .

٥ - سورة الصافات : ٦٤

﴿ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴾ (١)

فهذه صورة الجحيم يستحضرها النص القرآني من المستقبل باستخدام الفعل المضارع بما تحويه من دلالة الاستمرار للرؤية ، يقول أبو مسعود : " والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة على الاستمرار ". (٢)

١ - سورة التكاثر : ٦

٢ - أبو مسعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٥ ، ص : (٦٠) .

هـ - الالتفات : -

الالتفات هو العدول من أسلوب إلى أسلوب آخر سواء من الخطاب للغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب أو من الغيبة إلى التكلم ومن التكلم إلى الغيبة ... الخ ، لكن الباقلاني قد جعل الالتفات على سبيل الاعتراض ؛ أي أن يكون هناك كلاماً منتظم ، فيدخل في الكلام كلاماً آخر معترضاً ، ثم يعود للكلام الأول ، حيث يقول أثناء تعليقه على بيت جرير :

" مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ - سَقَيْتِ الْغَيْثَ - أَيُّهَا الْخِيَامُ (١)

ومعنى الالتفاتات أنه اعتراض في الكلام ، قوله : ((سَقَيْتِ الْغَيْثَ)) ، ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً ، وكان الكلام منتظماً ، وكان يقول : ((متى كان الخيام بذي طلوح أيها الخيام)) ؟ فمتى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلفظ - كان ذلك التفاتاً " . (٢)

أما ابن القيم الجوزية فيعرف الالتفات على أنه انصراف الكلام من صيغة إلى صيغة أخرى ، حيث يقول : " وهو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى " . (٣)

ويُعد الالتفات من الجماليات المهمة في النص لما فيه من فائدة تأثيريه في المتلقي ، يقول الزركشي أثناء حديثه عن أسباب الالتفات : " اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة فمن العامة التفتن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع واستجلاب صفائه واتساع مجاري الكلام وتسهيل لوزن القافية " . (٤)

١- محمد الصاوي ، شرح ديوان جرير ، دار الأندلس ، بيروت ، دبت ، ج١ ، ص : (٥١٢) .

٢ - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص : (٩٩) .

٣ - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية ، الفوائد

المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ص : (١٤٤) .

٤ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص : (٣٢٥ ، ٣٢٦) .

وحتى يكون الالتفاتُ التفتاتاً يجب أن يحتوي على شرطين أساسيين :

أحدهما : أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً على المنتقل منه .

ثانيهما : أن يكون الضمير في جملتين مستقلتين ، يقول الزمخشري أثناء حديثه عن الضمير : " ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات " (١) ، و يقول الزركشي : " أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه أيضاً أن يكون في جملتين أي كلامين مستقلين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه " . (٢)

وقد ورد في النص القرآني أنواع شتى من الالتفات ، ومثال ذلك على الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ (٣)

فبعد أن وصف النص القرآني شجر الزقوم وما فيه من العذاب المرير ، يلتفت إلى الكافر لمخاطبته بقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾

و من أنواع الالتفات ، الالتفات من الجمع إلى المفرد ، نجده في قوله تعالى : ﴿ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ

إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْكَرِيمُ ﴾

١ - الزمخشري ، الكشاف : وذلك بعد تعليقه على قوله تعالى { قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جِزَاءً مُوقُفًا } سورة الإسراء : ٦٣

٢ - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص : (٣٣١) .

٣ - سورة الدخان : ٤٣

ثالثاً : الإيقاع .

الإيقاع كما عرّفه ابن منظور : " من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها " (١) ، يبدو أن ابن منظور من خلال تعريفه السابق قد أبقى الإيقاع مقتصرًا على الغناء ، لكن التعريفات الحديثة كانت أوسع نطاقاً من تعريف ابن منظور ، " إن لفظة الإيقاع مشتقة أصلاً من اليونانية بمعنى الجريان أو التدفق ، وهي صفة مشتركة بين الفنون جميعاً ، وتبدو واضحة في الموسيقى الشعر والنثر " (٢) ، وقد ارتبط الإيقاع بالشعر من حيث القافية ، وأعطوها منزلة عظيمة وقيمة رفيعة بالنسبة للشعر ؛ إذا تناسق الوزن مع مشابهة القوافي ، وفي الوقت نفسه فهي لا تتقارب مع الفواصل التي جعلوا منها الإيقاع القرآني ولا بأي شكل من الأشكال ، يقول الرماني : " وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة ، وأما القوافي فلا تحتل ذلك ؛ لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي " . (٣)

الفاصل في القرآن وجدت وسيلة لبيان بلاغة وحكمة ، يقول الرماني : " فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها " (٤) ، ومع ذلك نجد فيها ذلك الترابط في المعنى وجمال الإيقاع من خلال اللفظة التي وجدت فيه ، فقد تناسب اللفظ والمعنى والإيقاع ، لأن الفواصل تابعة للمعاني بخلاف الأسجاع التي تكون المعاني تابعة لها ، والقوافي التي يُراد بها الوزن والمجانسة ، يقول فضل عباس : " فالفاصلة القرآنية لم تأت لغرض لفظي فحسب ، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض ، وهو ما يعبرون عنه بمراعاة الفاصلة ، وإنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه النص ، وتقتضيه الحكمة ، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع " . (٥) إذ بوساطة الفواصل أصبح للنص القرآني إيقاعٌ خاصٌ به ، وحسب التعريفات المختلفة للفاصلة عند العلماء إلا أنهم لم يختلفوا في هذه التسمية .

١ - ابن منظور ، لسان العرب : مادة : وقع

٢ - مجدي وهبة وزميله ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص : (٧١) .

٣ - الرماني والخطابي والجرجاني ، ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص : (٩٨) .

٤ - المصدر السابق . ص : (٩٨) .

٥ - فضل حسن عباس و سناء فضل الكريم ، إعجاز القرآن الكريم ، ١٩٩١ م ، ص : (٢٢٦) .

ومن التعريفات للفاصلة ، قول الرماني : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني" (١) ، وشبيهه من تعريف الرماني نجده عند الباقلاني ، حيث يقول : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني " (٢) ، أما ابن منظور فيعرف الفاصلة بقوله : " وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر جلّ كتاب الله عز وجل واحدها فاصلة " . (٣)

ومن تعريفات المحدثين قول فضل عباس : " يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية ، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية ، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة " (٤) ، وشبيهه من ذلك قول محمد الحسناوي : الفاصلة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر " (٥) وكذلك تعريف محمد الصغير ، حيث يقول : " آخر كلمة في الآية ، كالقافية في الشعر ، وقرينة السجع في النثر " . (٦)

لكن سيد قطب يرى أن الفاصلة هي الآية بأكملها ، لأنه يتمثل كل آية على حدة عندما يأتي بأمتلئة في القصر والتوسط والطول على الفاصلة ، ويرى أن الإيقاع يكون في كل لفظة في القرآن ولم يقتصر على أواخر الآيات ، حيث يقول أثناء تعليقه على سورة النجم : " هذه فواصل متساوية في الوزن تقريبا - على نظام غير نظام الشعر العربي - متحدة في حروف التقفية تماما ، ذات إيقاع موسيقي متحد تبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية ، لأنه يبعث من تألف الحروف في الكلمات ، وتناسق الكلمات في الجمل ... وفي بعض الفواصل يبدو ذلك جليا مثل : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ . فلو أنك قلت : أفرايتم اللات والعزى

ومناة الثالثة ، لاختلت القافية ، ولتأثر الإيقاع ، وكذلك في قوله : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ *

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ فلو قلت : ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك قسمة ضيزى ،

*

- ١ - الرماني والخطابي والجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) ، ص : (٩٧) .
- ٢ - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص : (٢٧٠) .
- ٣ - ، ابن منظور ، لسان العرب ، مدة : فصل
- ٤ - فضل حسن عباس و سناء فضل عباس ، إعجاز القرآن الكريم ، ص : (٢٢٥) .
- ٥ - محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، و دار عمار ، عمان ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص : (٢٩) .
- ٦ - ، محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، دبت ، ص : (١٤٣) .

لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة ((إذن)) . (١)

وفي مكان آخر يقول سيد قطب : " والجرس في ألفاظ القرآن وعباراته يشترك في تصوير المعنى ووقعه في الحس ... ونرى نوعاً من التناسق الفني العجيب بين الحاقة والقارعة والطاغية والعاتية والرابية والدكة الواحدة والواقعة ... تناسق اللفظ والجرس وتناسق المناظر التي تخيل للحس أنها جميعاً نائرة فائرة طاغية غامرة ، تذرع الحس طولاً وعرضاً ، وتملؤه هولاً وروعاً ، وتهزه من أعماقه هزاً " . (٢) " الموسيقى النابعة من تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة ، كما لا يخفى أن الأصوات متفاوتة في الجرس يقرع بعضها بعضاً حين تجتمع في اللفظ فينتج عن تقارعها المتناغم سلم موسيقي جميل " . (٣)

إذا فالإيقاع في القرآن لا يلتزم بفاصلة - وهي آخر كلمة في الآية - كما يكون التزامه بالقافية في الشعر ، وإنما نجده في سورة القرآن كاملة ، ثم في ترابط الآيات وفي تناسق الكلمات وفي إتحاد الأحرف في اللفظة الواحدة ذاتها ، حيث نشعر بالموسيقى تخرج من بين ثنايا الأحرف مجتمعة ، لتسمعك نغماً ينسجم مع المعنى المراد .

ومن أمثلة الفواصل - آخر كلمة في الآية - حيث تعطي في آيات الجحيم إيقاعاً صوتياً مخيفاً ، فهي تتحدث عن موقفٍ كله أهوال وعذاب ، يصاحبها إيقاع شديد يعتمد على الفواصل المتقاربة وهي النون والميم ، فالفواصل المتقاربة بالإضافة إلى قوة الإيقاع ، تنمو من خلالها جمال العبارة وبلاغتها ، يقول الرماني : " وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان مما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة " (٤) ومن ذلك قوله تعالى :

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا

هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَيْمِ

* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ

١ - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص : (١٠٣ ، ١٠٤) .

٢ - انظر : سيد قطب ، مشاهد القيامة في القرآن ، ص : (٢١٣) .

٣ - إبراهيم جنداري ، الإيقاع في القصة القرآنية ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ٣٧٩ ، تشرين الثاني ٢٠٠٢ ، ص : (٦ ، ٧) .

٤ - الرماني والخطابي والجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص : (٩٨) .

صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ
تَمْتَرُونَ ﴿١﴾

فالإيقاع في آيات الجحيم إيقاع موسيقي مرعب ، يحتوي على دلالة مخيفة ، يتحد مع السياق الذي يتحدث عنه بطريقة تلاحمية ليعطي أثراً كبيراً في النفس ، ففاصلة النون في (أجمعين ، ينصرون ، البطون ، تمترون) تتقارب مع فاصلة الميم في (الرحيم ، الزقوم ، الأثيم ، الحميم ، الجحيم ، الحميم ، الكريم) ، " فواصل الياء والنون أو الواو والنون تتماثل مع نفسها وتتقارب مع فواصل الياء والميم " (٢) ، وشبيهه من ذلك قوله تعالى :

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ * خذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (٣)

فالفاصلة هنا تكون بالهاء الساكنة بعد ياء المتكلم ، والتي تتحدث بكلام النادم الذي يتحسر على ما قدم في حياته ، ولذلك كان الإيقاع حزيناً بطيناً بما يرافقه من موسيقى تستشعرها من خلال الندم الذي يكتنف ذلك الشخص القائل ، ومن خلال كلماته والنبرة الحزينة المرافقة لها ، فقد جاءت الفاصلة على نسق واحد في ((كتابيه ، حسابيه ، ماليه ، سلطانيه)) ، وبعد ذلك نجد أن الإيقاع يشتد من خلال الفاصلة ، حيث ترتفع النبرة الموسيقية لتعطي ميزاناً مخالفاً عما قبله لتنوع الفاصلة والسياق ، يقول صلاح عبد الفتاح الخالدي : " وقد يتنوع الإيقاع الموسيقي

١ - سورة الدخان : ٤٠ - ٥٠

٢ - محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ص : (٢٠٧) .

٣ - سورة الحاقة : ٢٥ - ٣٧

المتناسق في السورة ، تبعاً لتنوع نظام الفواصل والقوافي فيها " (١) ، فقد انتقل السياق القرآني من حديث المذنب ولومه لنفسه وندمه على ما قدم ، إلى أسلوب الخطاب بالواو بقافية الهاء الغائب ، بما تحمل من عنف تتصاعد فيها الموسيقى لتعطي انطباعاً ينسجم مع السياق ، والدلالة التي يحملها من عنف وشدة من خلال التناسق في الفاصلة التي جاءت على نسق واحد ((خذوه ، غلوه ، صلوه ، فاسلكوه)) ، فنجد في هذه الفواصل موسيقى نابغة من تألفها حين تصطف مع غيرها لتنظيم فقرات وجمل ، فالفواصل المفردة تتصل بما قبلها وما بعدها لتؤلف إيقاعاً ذا نغمات موسيقية تتناسب مع السياق ، " الموسيقى النابغة من تألف الكلمات حين تنتظم مع التركيب فقرات وجمل ، فالألفاظ المفردة تفرع الألفاظ المفردة المجاورة لها سابقاً ولاحقاً ، وينتج عن تقارعها المتناسق سلاسل موسيقية جميلة " (٢) ، يكون ذلك في تسارع ينسجم مع سياق الأمر ، ((خذوه)).. كلمة تخرج من العلي الأعلى . فيتحرك الوجود كله على هذا المسكين الصغير الهزيل . ويبتدره المكلفون بالأمر من كل جانب " . (٣)

، والذي يختلف بدوره عما سبقه من الإيقاع المترخي البطيء ، ثم يعود الإيقاع مرة أخرى إلى التراخي والهدوء بعض الشيء بفواصل مغايرة عما سبقها ، بقوله تعالى :

﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ

الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (٥)

فهنا تراخي الإيقاع الموسيقي ليناسب الجو الذي يتحدث عنه وهو بيان سبب دخول هذا المذنب النار ، وقد اختلفت الفاصلة القرآنية عما سبقها ، وأصبحت تتقلب ما بين الميم والنون بما يسبقها من الياء والواو (العظيم ، المسكين ، حميم ، غسلين ، الخاطئون) ، ويقول السيد قطب في تنوع الإيقاع : " فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الأجواء التي تطلق فيها ؛ فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظاماً خاصاً ، وينسجم مع الجو العام باطراد لا يستثنى " . (٥)

١ - صلاح عبد الفتاح الخالدي ، البيان في إعجاز القرآن ، دار عمار ، عمان ، ١٩٨٩م ، ط ٣ ، ص : (١٩٨) .

٢ - د. إبراهيم جنداري جمعة ، الإيقاع في القصة القرآنية ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ٣٧٩ ، تشرين الثاني ٢٠٠٢ ، ص : (٦ ، ٧) .

٣ - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٢٩ ، ص : (٢٥٨) .

٤ - سورة الحاقة : ٣٢ - ٣٧

٥ - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص : (١١٠) .

ويمكن أن تبقى الفاصلة القرآنية على نفسها على الرغم من الحديث عن موضوعين مختلفين ، إلا أننا نجد أنفسنا أمام إيقاعين مختلفين ، فالأول نستشعر به الطمأنينة والسرور والغبطة ، والثاني تشمئز منه أنفسنا ، وترتجف منه قلوبنا ، وتُصم بسماعه أذاننا ، فهذا يكون نتيجة للموسيقى التي تصاحب كل موقف على حدة بسبب الألفاظ المستعملة لكل مشهد " فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الأجواء التي تُطلق فيها ؛ فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظاماً خاصاً ، وينسجم مع الجو العام باطراد لا يستثنى " . (١)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاغْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُوقْ إِذْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٢)

إن الإيقاع القرآني يخضع لأمرين : الفاصلة من حيث التشابه والتقارب والاختلاف تارة ، والموضوع الذي تتحدث عنه تارة أخرى ، وقد جاء في النص القرآني ذلك التناسب الجميل الذي ينسجم فيه الأمران معاً ، فالآيات السابقة تتحدث أولاً عن يوم القيامة بشكل عام ، وقد جاء الإيقاع

١ - المرجع السابق ، ص : (١١٠) .

٢ - سورة الدخان : ٤٠ - ٥٩

بأسلوب بطيء مسترسل يبيث في نفسية المتلقي ذلك التمهيد البسيط بعبارات رقيقة شفافة ، ويقافية تتقلب ما بين الميم والنون يسبقهما الياء أو الواو ، ليناسب أخر الآيات التي تتحدث عن رحمة الله - عز وجل - ، فقد يتناسب مع الرحمة الموسيقي الهادئة المطمئنة ، إلا أن المشهد الآخر الذي يتحدث عن العذاب وأهواله ، يأخذ إيقاعاً سريعاً بقوافي الميم والنون أيضاً ، إلا أننا نحس بشدة وغلظة خلال سماعها باستعمال النص القرآني للألفاظ التي تبث تلك الموسيقى المروعة ، والسبب يرجع إلى الموضوع الذي نتحدث عنه ، فالإيقاع في المشهد الثاني يبدو سريعاً بوساطة الفواصل المتقاربة في القصر ، المتوازية في الوزن ، ذات القوافي المتقاربة ، تعطي موسيقى صاخبة ، تنبئ عن حجم العذاب الذي ينتظر الكافر .

فالإيقاع القرآني يكون دائماً مصاحباً للتصوير ، فشجرة الزقوم تطل علينا بما يرافقها من موسيقى بمنظر مخيف مرعب ، تتجلى لأكليها بما تحمله من مرارة وشدة في الحرارة ، لتكون طعام الكافر الوحيد ، إلا أن النص القرآني لا يتوقف بإيقاعه عند هذا المشهد ، بل ينتقل بأسلوب موسيقي سريع من العذاب بالطعام إلى العذاب الجسمي باستخدام ألفاظ تناسب تلك الشدة ، والأشد ما كان في استعمال أفعال الأمر التي تبين الغلظة الواقعة على المعدبين ، (خذوه ، فغلوه ، صلوه ، ذق) فهذه الأفعال من خلال لفظها تحس بذلك الإيقاع الصاخب الناجم عن عدم الرضا عليهم ، وحجم العقوبة الواقعة عليهم .

ولو تابعنا الإيقاع لأخر الآيات السابقة ، لنستشعر الإيقاع يبدأ بالهدوء والسكينة ، والسبب أن الفئة التي يتحدث عنها تختلف بشكل معاكس عن الفئة السابقة ، حيث ينتقل النص من الحديث عن أهل الجحيم إلى أهل الجنة بما يناسبه من ألفاظ تصلح لبث الطمأنينة والسكون ، وهذه الألفاظ يخرج من خلالها ذلك الإيقاع المسترسل الهادئ ليناسب موضوعه ، وليعطي السكينة لمتلقيه من حيث لا يشعر مصدر تلك الموسيقى الهادئة المطمئنة ، والفواصل لتشابهها ولتقاربها وبما يسبقها من حروف المد تشترك جميعها في إظهار ذلك الإيقاع المنسجم مع الموضوع المخبر عنه ، فلاحظ الفواصل في الآيات التي تتحدث عن الجنة بما يصاحبها من تصوير تعطي موسيقى هادئة لا تشوبها أي حركة أو نبرة مضطربة ، فهذه الفواصل تسير بتأن وبسلاسة (أمين ، وعيون ، متقابلين ، عين ، أمنين ، الجحيم ، العظيم) .

إلا أننا ندرك أن هناك لفظاً قد استعمل في المشهدين (الجنة والنار) وهو لفظ (الجحيم) ، إلا أننا نحس أن إيقاعه لم يتشابه على الرغم من تشابه اللفظة ، ويعود السبب إلى ما سبقها من ألفاظ دالة عليه ، فلو أخذنا لفظة الجحيم بدلالة العذاب لوجدنا أن ما سبقها قد أوجد لها إيقاعاً يبعث على الخوف والرهبة وهو (خذوه ، فأعتلوه) ، فهذان الفعلان من خلال لفظهما يدلان على إيقاع خاص ينبعث من الخوف قبل أن نصل إلى لفظة الجحيم ، ومع استعمال اللفظة بما سبقها مباشرة

(سواء) بمعنى وسط ، وانضمامها إلى ما سبقها نستشعر رصانة الإيقاع وجدواه في بث التأثير في نفسية المتلقي .

أما لفظة الجحيم التي أستعملت في المقام الآخر ، والذي يتحدث عن أهل الجنة ، فنجد فيه إيقاعاً مختلفاً جُلَّ الاختلاف ، فهنا مقام أمان بما يصاحبه من موسيقى مسترسلة مترامية تدل على هدوء أصحاب ذلك المقام ورضاهم بما نالوه ، على الرغم من وجود لفظة (الجحيم) ، إلا أن ما سبق لفظ الجحيم (ووقاهم) قد ألغى مدلولها ، بما كان يصاحبها من إيقاع صاخب ، الذي يوحي بالرعب والخوف ، فبدل الخوف أمناً والرعب طمأنينة ، وأصبح الإيقاع هادئاً تغلب عليه النبرة الرقيقة .

فالإيقاع في الصورة الأولى يختلف عن الإيقاع في الصورة الثانية ، ولو اتحدت الأوزان والفواصل بين الصورتين ، لأن الإيقاع في النص القرآني لا يلتزم بالفواصل فقط كما يلتزم الشعر بالقافية ، بل نجد فيه خاصية جديرة بالاهتمام ، وهي أن لتراص الحروف وتوائمها ، واتحاد الكلمات وتوافقها ، دور فعال في إظهار الإيقاع الموسيقي في جميع جوانبه ، ومرد ذلك إلى " الحس الداخلي والإدراك الموسيقي ، الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع " . (١)

الخاتمة : -

لقد اشتملت الخطة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة :

الفصل الأول تألف من مبحثين :

المبحث الأول كان بعنوان : (الصورة) درست فيه الصورة الفنية عند القدماء والمحدثين بالإضافة إلى أهمية الصورة ، حيث كان التركيز على صورة الجحيم في القرآن الكريم .
أما المبحث الثاني كان بعنوان : (الجحيم ودلالاته) درست فيه لفظة الجحيم عند القدماء ، وما تناولته اللفظة من دلالات توحى بالشدة التي تتميز بها ، مع بيان تميز الجحيم عن غيره من أنواع العذاب في الآخرة ، مثبتاً ذلك بآيات من القرآن ، ثم بآراء العلماء .
أما الفصل الثاني كان بعنوان : (مكونات الصورة الموضوعية) وقد قسمت هذا الفصل لمبحثين :

المبحث الأول بعنوان (الحوار) فقد درست فيه الحوار القائم بين عدة أطراف من خلال صورة الجحيم في القرآن ، وقد تنوعت أطراف الحديث وأطيافه ما بين الإنسان وأعضائه إلى حوار الإنسان مع ربه ، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف نوعية الحوار ما بين الرجاء والتعجب والاستنكار .

المبحث الثاني بعنوان (العذاب) درست فيه العذاب ببعديه الجسدي والنفسي على الكافر ، علماً أن القرآن قد أعطى العذاب النفسي تلك الأهمية التي أعطاها للعذاب الجسدي .
أما الفصل الثالث تكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول بعنوان (اللفظ والسياق) درست اللفظ ومناسبته للمعنى مع تناسب الألفاظ مع بعضها لتكوين السياق وخاصة في صورة الجحيم .

المبحث الثاني (أنماط التركيب) درست فيه الصياغة الفنية في صورة الجحيم والتي بدورها تحتوي على { الحذف والتكثير والتعريف والجمل الاسمية والفعلية والالتفات } وهذه السمات الأنفة الذكر أوضحت فيها تلك الجمالية الفنية والإبداعية التي تحتويها صورة الجحيم .

المبحث الثالث (الإيقاع) وقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً باللفظ ، وفيه نجد أن ألفاظ القرآن قد اختيرت بعناية لتتناسب المعنى من جهة وتناسب الإيقاع من جهة أخرى .
خرجت من دراستي لصورة الجحيم بعدة نتائج أجملها فيما يلي :

— إن صورة الجحيم لم تكن إلا جزءاً مهماً من صور القرآن الكريم ، وقد عبّر عنه القرآن بصورة فنية رائعة ، تحتوي على صبغة جمالية تأثيرية لا نجدها في نص دنيوي ، فهو لم يأخذ الجحيم كموقع للعذاب فقط ، بل تناول من خلال التصوير صورة المعذبين وأحوالهم وصفاتهم ولباسهم ومأكلهم ومشربهم ، حتى إنه تعرّض للحوار الداخلي للمُعذّب ، وبذلك تكون الصورة واضحة شاملة لصورة الجحيم بجمع نواحيها .

— إن التصوير في القرآن ظاهرة واضحة ، إلا أنه تصوير معجز وبأقل الألفاظ الموحية تخرج الصورة واضحة جلية ، وقد اعتمده القرآن الكريم من أجل تقريب المعنى .

— إن القرآن الكريم قد اهتم بالحوار من جميع جوانبه ، بدايةً من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة وخاصة فيما يتناول الآخرة ، حيث نقل لنا حوار الكافرين في النار ، سواء بين بعضهم أو مع بعض أجزائهم ، أو مع أهل الجنة ... الخ .

— لم يبقَ التصوير القرآني على الصورة الحوارية الخارجية للمُعذّب ، بل زاد عليها حوار المُعذّب الداخلي بما يستخدمه من حركات توحى بذلك الصراع في نفسيته بما يصاحبه من ندم .

— إن إبداع التصوير وإحكام ترتيب الآيات في صورة الجحيم ، وإخراجها في أسلوب واحد لا تفاوت فيه ، بما يصاحبها من معانٍ ، جاء في خدمة اللغة العربية حيث أسبغ عليها طابع الجمال والتأثر بما يرقى باللغة العربية .

— تناول القرآن الكريم عذاب الكافرين في الجحيم بأسلوب جميل نلاحظ من خلاله أبعاد الصور من جميع جوانبها ، من حيث النوعية والكمية للعذاب ، حتى إنه لم يستثنِ الوقت ، بل جعل الكافر في عذاب دائم ، وفي ذلك اشتمالية على صورة العذاب بجميع جوانبها .

— لقد عمد القرآن إلى اختيار الألفاظ الدقيقة من أجل إظهار صور معينة للجحيم من حيث العمق والسعة ، فالنص القرآني لم يتناول أبعاد الجحيم بشكل مباشر ، وإنما كان وصفه لها من خلال الحديث عن المُعذّبين وأماكنهم .

— لقد اهتم النص القرآني بالإيقاع ، وجعله مناسباً للموقف الذي تتحدث عنه الآيات ، وقد تميّز الإيقاع في صورة الجحيم بذلك الإيقاع السريع الذي يناسب الحدث والموقف .

— لم يهمل النص القرآني أثناء التصوير السمات النحوية والبلاغية ، بل أضيف من خلالها جمالية عظيمة على الصورة ، جعل الصورة بوساطتها موجزة معجزة تامة .

— لقد أعطى النص القرآني التصوير تلك الأهمية البالغة حين استحضّر الصور من المستقبل وعبّر عنها بجمال اسمية تدل على ثبات الموقف وحتمية وقوعه ، بينما نلاحظ أثناء الدخول في صورة العذاب أنه يستخدم الأفعال الذي تدل على الاستمرارية في العذاب .

— لم يبق القرآن الجحيم على صورة جامدة ، بل أضفى الصفات التشخيصية عليها، وهي تتمثل في خلع الحياة على المحسوسات الجامدة ، فجعلها تتصف بالصفات الأدمية ، فها هي جهنم تتفعل وتغضب ، وتتكلم وتدعو وتتوعد .

وهناك أيضاً إضفاء الصفات التجسيدية والتجسيمية على العذاب ، فالنص القرآني لم يكتف بوصف العذاب ، بل أخرج من الصورة غير المرئية إلى الصورة المحسوسة المرئية ، حين جسد العذاب ، بوساطة إحضار الأمور الخيالية ، ووضعها في هياكل تناسبها ، وإلباسها أثواباً جديدة ، تتناسب مع الوضع الموجودة لأجله .

المصادر والمراجع :-

المصادر :

القرآن الكريم .

- ١ - احمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ) ، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت .
- ٢ - احمد بن محمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ، مسند احمد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- ٣ - احمد بن عبد الحلیم الحراني (ابن تيمية) أبو العباس (٧٢٨ هـ) ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، د.ت .
- ٤ - احمد بن محمد الهائم المصري (٧٢٨ هـ) ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، تحقيق : فتحي أنور الدابولي ، ط١ ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مدينة النشر : القاهرة ، ١٩٩٢ .
- ٥ - إسماعيل الدمشقي أبو الفداء (ابن كثير) (٧٧٤ هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .
- ٦ - جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، د.ت .
- ٧ - الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٥١٦ هـ) ، معالم التنزيل ، تحقيق : خالد العك ومروان سوار ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- ٨ - الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ .
- ٩ - سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو قاسم (٣٦٠ هـ) ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، ط٢ ، الموصل ، العراق ، ١٩٨٣ م .
- ١٠ - ضياء الدين ابن الأثير (٦٣٧ هـ) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، دار النهضة ، مصر ، ط٢ ، د.ت .
- ١١ - عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧ هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، د.ت .
- ١٢ - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٦ هـ) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د.ت .

- ١٣— عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) ، أسرار البلاغة ، ط١ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- ١٤— عبد القاهر الجرجاني(٤٧١ هـ) ، دلالات الإعجاز ، مطبعة المدني ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- ١٥— العسكري ، الفروق في اللغة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٢ م .
- ١٦— عمرو بن بحر (أبو عثمان الجاحظ) (٢٥٥ هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي عطوي ، ط١ ، دار صعب ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ١٧— عمرو بن بحر أبو عثمان (الجاحظ) (٢٥٥ هـ) ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجليل ، بيروت ، د.ت .
- ١٨— فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٦٠٦ هـ) ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- ١٩— قدامة بن جعفر ، أبو الفرج (٣٣٧ هـ) ، نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
- ٢٠— المبارك بن محمد الجرزي ، النهاية في غريب الأثر ، تحقيق : طاهر احمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، مادة ججم .
- ٢١— محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٧٢١ هـ) ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر ، ١٩٩٥ ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت .
- ٢٢— محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية ، (٥٧١ هـ) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ٢٣— محمد بن احمد بن أبي فرج القرطبي (٦٧١ هـ) ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، تحقيق : حامد احمد الظاهر البسيوني ، ط١ ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- ٢٤— محمد بن أحمد بن أبي فرج القرطبي(٦٧١ هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : احمد عبد العليم البردوني ، ط٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .
- ٢٥— محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري ، ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، دار السلام ، الرياض ، ١٩٩٧ م .
- ٢٦— محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤ هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ط ، ١٣٩١ هـ .

- ٢٧ — محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- ٢٨ — محمد بن الحسين بن محمد النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المعروف بـ (تفسير النسفي) ، د.ت .
- ٢٩ — محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ط ١ .
- ٣٠ — محمد بن الطيب الباقلائي أبو بكر (٤٣٠ هـ) ، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد احمد صقر ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .
- ٣١ — محمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢ هـ) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ١٤١٠ هـ .
- ٣٢ — محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ .
- ٣٣ — محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى (٧٠٤ هـ) ، جامع الترمذي ، ط ١ ، دار السلام ، الرياض ، ١٩٩٩ م .
- ٣٤ — محمد علي بن علي التهانوي (من علماء القرن الثاني عشر الهجري) ، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بـ (كشاف اصطلاحات الفنون) ، منشورات شركة خياط للكتب والنشر ، د.ت .
- ٣٥ — محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠ هـ) ، فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٦ هـ .
- ٣٦ — محمد الألوسي أبو الفضل (١٢٧٠ هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : محمد السيد الجليند ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٣٧ — محمد بن محمد العمادي (أبو مسعود) (٩٥١ هـ) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
- ٣٨ — محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (٥٠٥ هـ) ، جواهر القرآن ، تحقيق : محمد رشيد رضا القباني ، ط ١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ٣٩ — محمد بن محمد بن محمد الغزي (١٠٦١ هـ) ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الأسن ، تحقيق : خليل محمد العربي ، ط ١ ، دار النشر : الفاروق الحديثة / القاهرة ، ١٤١٥ .
- ٤٠ — محمد بن مكرم (ابن منظور) (٧١١ هـ) ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢ .

٤١ - محمود بن عمر الزمخشري أبو القاسم (٥٣٨ هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمّادي ، مكتبة مصر ،
القاهرة ، د.ت .

٤٢ - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، أبو الحسن (٢٦١ هـ) ، صحيح مسلم ، شرح
الإمام النووي ، ط ١ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

٤٣ - مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ) ، مشكل إعراب القرآن ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ،
ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

٤٤ - ناصر الدين بن سعيد البيضاوي (٧٩١ هـ) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف
بـ (تفسير البيضاوي) ، تحقيق : عبد القادر العشا حسونة ، د.ط د ، دار الفكر / بيروت ،
١٩٩٦ م .

٤٥ - بلا مؤلف ، معاني القرآن الكريم ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط ١ ، جامعة أم القرى
، مكة المكرمة ، ١٤٠٩ هـ .

المراجع :

- ٤٦ - إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط ٢ ، ١٩٧٢ ، ٢ .
- ٤٧ - إحسان عباس ، فن الشعر ، د.ط ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩ .
- ٤٨ - احمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ٤٩ - جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ط ٣ ،
المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ٥٠ - حامد صادق قنبي ، المشاهد في القرآن الكريم (دراسة تحليلية وصفية) ، ط ١ ، مكتبة
المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ١٩٨٤ .
- ٥١ - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ط ١٦ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
- ٥٢ - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط ٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ٥٣ - سيد قطب ، مشاهد القيامة في القرآن ، ط ١٤ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
- ٥٤ - صلاح عبد الفتاح الخالدي ، البيان في إعجاز القرآن ، ط ٣ ، دار عمار ، عمان ، ١٩٨٩ م .
- ٥٥ - عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان ، ط ١ ،
مكتبة النبلاء ، الرياض ، ٢٠٠٠ م .
- ٥٦ - عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرآن ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- ٥٧ - عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ط ١ ، نشر بدعم من جامعة
اليرموك ، اربد ، الأردن ، ١٩٨٠ م .

- ٥٨ - عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، دار العودة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٨ .
- ٥٩ - علي علي صباح ، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، ط٢ ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- ٦٠ - فاضل صالح السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٠ .
- ٦١ - فضل حسن عباس و سناء فضل عباس ، إعجاز القرآن الكريم ، ١٩٩١ م .
- ٦٢ - كمال أبو ديب ، جدلية الخفاء والتجلي (دراسة بنويوية في الشعر) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت .
- ٦٣ - مجدي وهبة وكمال المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٦٤ - محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، شرح ديوان جرير ، دار الأندلس ، بيروت ، د.ت .
- ٦٥ - محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ م .
- ٦٦ - محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ودار عمار ، عمان ، ١٩٨٦ .
- ٦٧ - محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، د.ت .
- ٦٨ - محمد حسين علي الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، ط١ ، دار الهادي ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ٦٩ - محمد الطاهر (ابن عاشور) ، التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس ، د.ط ، ١٩٩٧ .
- ٧٠ - مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، راجعه ونقحه : عبد المنعم خفاجة ، ط٣٠ ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا : بيروت ، ، ١٩٩٤ .
- ٧١ - وحيد صبحي كبابه، ((الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس (دراسة))) ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٩ ، [www . awu- dam. com](http://www.awu-dam.com) ،

المجلات

- ١ - إبراهيم جنداري جمعة . ((الإيقاع في القصة القرآنية)) ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ٣٧٩ ، تشرين الثاني ٢٠٠٢ .

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
ط	٨	الانفطار	﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾
ط	٦٤	غافر	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
ط + ي	٣	التغابن	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾
ط	١١	الأعراف	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾
ي	٦	آل عمران	﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
ي	٢٤	الحشر	﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
٣	١٢	ق	﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴾
+٣٥ +٤ ٥٤	٣٠	ق	﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾
٤	٧٠٧	الملك	﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾
٨	١٧	إبراهيم	﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾
٨	— ١٢٤ ١٢٦	طه	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾
٩	٦٥	الصفات	﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾
١١ + ٩	٣٣، ٣٢	المرسلات	﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّه جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾
٩ (إخاشية)	٢٤	لقمان	﴿ لِنَمْتَعُنَّهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضطرُّهُمْ إِلَى عَذَابِ غَلِيظٍ ﴾

٩ (الحاشية)	٥٠	فصلت	﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَنَظَيِّقُهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾
١٠	٣٦	فاطر	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾
١٠	٢٤	الحاقة	﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾
٦٤ + ١٠	٣٢ — ٣٠	الحاقة	﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾
٧٦ + ١١	٩١ ، ٩٠	الشعراء	﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾
١١	٥٠	إبراهيم	﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾
١٥	٤٩ ، ٤٨	الصفات	﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾
١٥	٣٩	النور	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾
٢٦ ، ٢٥	٢٧	الجن	﴿ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾
٢٦	١٥ ، ١٦	المعارج	﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ * نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى ﴾
٢٦	٢٩ — ٢٧	المدثر	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾
٢٦	١٠٠	الفارعة	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾
٢٦	٤٥٥	الهمزة	﴿ لَيُنَبِّدَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾
٢٧	٣٩	فصلت	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ ﴾

			﴿ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
٢٧	١٩	الروم	﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾
٢٧	٩٢	النساء	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
٢٨	٢٣	الإسراء	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾
٢٨	٩٠	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
٢٨	١٠	المائدة	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾
٢٩	١٥، ١٦	المطففين	﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾
٢٩	٧	غافر	﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾
٢٩	٥٦	الدخان	﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ ﴾

			عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿
٢٩	١٨	الطور	﴿ فَآكِهِنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُنَّ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُنَّ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴾
٣٠	٦٥	الفرقان	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾
٥٤ + ٣٠	٥٥	الصفات	﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾
+٤٥ + ٣٠ ٥٤	٤٧	الدخان	﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾
+٣١ + ٣٠ ٧٦	٦٤	الصفات	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾
٣١	٩١	الشعراء	﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾
٧٦ + ٣١	٣٦	النازعات	﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾
٣١	١٢	الفرقان	﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾
٦٣ + ٣١	٧ — ٥	التكاثر	﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾
٣٢	٢٦٠	البقرة	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
٣٢	٥٢ — ٤٨	الحاقة	﴿ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾
٣٣	٩٥ — ٩٢	الواقعة	﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنزُلْ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ * إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾
٣٣	٧٦	يوسف	﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

٣٦	١٨	الأعراف	﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْعُومًا مَذْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
٣٧	٥١ — ٦١	الصفات	﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَتِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَتِذًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ * إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
٣٨	٢٢	إبراهيم	﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾
٣٩	٥٨	الأنفال	﴿فَأَبْذُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾
٤١	١٤	العنكبوت	﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾
٤١	٦	الحاقة	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾
٤٢	٢٤	البقرة	﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾
٤٢	٤٩	التوبة	﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾
٤٢	٨	الإسراء	﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾
+٤٥ +٤٣ ٥٤	٣٢ — ٣٠	الحاقة	﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾
٤٣	٧٣	البقرة	: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِيَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
٤٣	١٦، ١٥	المطففين	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾

٤٤	٨٠	التوبة	﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾
٤٥	١٢ — ١٠	الرحمن	﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾
٤٥	٦٨ — ٦٦	الرحمن	﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾
+٤٦ ٥٤+٤٩	٦٨ — ٦٤	الصفات	﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَقُونَهَا مِنَ الْبُطُونِ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾
٤٧	٢٧	الأنعام	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٤٨	٢٧	الفرقان	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾
٤٨	١٢	السجدة	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾
٤٨	٤٥	الشورى	﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾
٥٠	٦٠	الإسراء	﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾
٧٤ + ٥١	٢٣ ، ٢٢	الصفات	﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾
٥١	٢	البقرة	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾
٥١	٦	الفاتحة	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
٥١	٢٤	الإنشقاق	﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾
٨٠ + ٥٢	٥٠ — ٤٣	الدخان	﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي

			<p>البُطُونِ * كَعَلِي الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاغْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَجِيمِ * ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿</p>
٥٢ (الحاشية)	٤٤ ، ٤٣	الرحمن	<p>﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن ﴾</p>
٥٢ (الحاشية)	٤٤ — ٤١	الواقعة	<p>﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾</p>
٥٢ (الحاشية)	٥٨ — ٥٥	ص	<p>﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ * وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾</p>
٥٤ + ٥٣	١٠٢	الكهف	<p>﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾</p>
٥٤	١٠٢	آل عمران	<p>﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾</p>
٥٤	٣٢	الزمر	<p>﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾</p>
٥٥	٦٧	الزمر	<p>﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾</p>
+٥٧ + ٥٦ ٥٨ (الحاشية)	١٠	ق	<p>﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾</p>
٥٧	٦٦ — ٦٢	الصفات	<p>﴿ أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴾</p>
٥٧	٤٣ — ٤١	الصفات	<p>﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ *</p>

			﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾
٥٩ + ٥٧	٤٤ ، ٤٣	الدخان	﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾
٥٨	٥٥	الدخان	﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ ﴾
٥٨ (الحاشية)	٩٩	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
٥٨ (الحاشية)	١٤٨	الشعراء	﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾
٥٨	٥٥ — ٥١	الواقعة	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَا تَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَا تُلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾
٥٩	٦٣	الصفات	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾
٥٩	٢٥٤	البقرة	﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
٦٠	٧٠	الأنعام	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾
٦٠	٤	يونس	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾
٦٠	٥١	ص	﴿ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾
٦٠ (الحاشية)	٤٢	ص	﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾
٦٨ + ٦١	١٣ — ١١	المزمل	﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾
٦٢	٢٢	إبراهيم	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي ﴾

			وَلَوْ مَوْأ أَنفُسِكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿
٦٣	٩	غافر	﴿وَقِهِم السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
٦٤	٧١	مریم	﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾
٦٤	٥٧	الصفات	﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾
٧٥ + ٦٥	٤٨ — ٤٧	الدخان	خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿
٦٥	١٢٧	البقرة	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٦٧	٣٩ — ٣٧	النازعات	﴿فَأَمَّا مَنْ طَعَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾
٧٥ + ٦٧	٩٧	الصفات	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾
٦٨	١٣	الفتح	﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾
٦٨	٨٨	النحل	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَا لَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾
٦٩	١٤	الانفطار	﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾
٧١ + ٧٠	٨٦ + ١٠	المائدة	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾
٧١	٥١	الحج	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾
٧١	١٦ — ١٤	الانفطار	﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِعَائِبِينَ﴾
٧٢ (الحاشية)	٣٧	المائدة	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

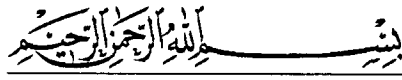
٧٤	٤٩	الدخان	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾
٧٤	٣١ — ٢٩	المرسلات	﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾
٧٥	٧	غافر	﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾
٧٦	٥٦	الدخان	﴿ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾
٧٦	١٨	الطور	﴿ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾
٧٨	٦	التكاثر	﴿ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴾
٨٤، ٨٣	٥٠ — ٤٠	الدخان	﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتِهِمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاغْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾
٨٤	٣٧ — ٢٥	الحاقة	﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ * يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ * خَذُوهُ ﴾

			<p>فَعُلُّوهُ * ثُمَّ الْحَمِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿</p>
٨٥	٣٧ — ٣٢	الحاقة	<p>﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾</p>
٨٦	٥٩ — ٤٠	الدخان	<p>﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَيْتِمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَمِيمِ * ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ *</p>

			<p>يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿</p>
--	--	--	---

رقم الصفحة	المؤلف	رقم الحديث	اسم الكتاب	الحديث الشريف
٥ ، ٤	الطبراني	٧٥٩٩	المعجم الكبير	قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " من يقل عليّ ما لم أقل ، أو ادعى إلى غير والديه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً " . قيل : يا رسول الله وهل لها عيان ؟ قال : " أما سمعتم الله يقول : ﴿ إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ " .
٥	الطبري ج ١٨ ، ص ٢٢١	—	جامع البيان عن تأويل أي القرآن	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من يقل عليّ ما لم أقل ، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً " . قول الله - عز وجل - : ﴿ إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾
٣٢	البخاري	٦٤٤٩ ٦٥٤٩+	صحيح البخاري	يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء و اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء " .
٤٤	مسلم	٢٥٧٣	صحيح مسلم	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يُؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " .
٤٩	احمد بن حنبل	١٢٩٠٢	مسند احمد	قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها " .
٥٥ ، ٥٤	محمد بن عيسى الترمذي	٢٥٨٨	جامع الترمذي	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لو أن رصاصة مثل هذه ، وأشار إلى الجمجمة ، أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرُهُ خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها " .
٥٥	الترمذي	٣٢٤١	جامع الترمذي	وفي الحديث عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أتدري ما سعة جهنم ؟ قلت لا ، قال : أجل والله ما تدري ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

				<p>عن قوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (٧) ، قالت : قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال : " على جسر جهنم " .</p>
--	--	--	--	---



The Depiction of Hell in The Holy Quran

Prepared by

Khaled Mousa Hussein AL – Zou'bi

Sponsored by

D. Hussain kitanah

Preface

1. This thesis aims to address the technical rhetoric image as described in the Holy Quraan. The various types and patterns of the Hell image are also discussed.
2. The thesis is divided into an introduction and three chapters, which are:
 - a. **Chapter one: Image and the implications of the Hell.**
In this chapter the image phenomena of the Hell as described in the Holy Quraan is discussed. This chapter is divided into four sections as follows:
 - (1) **Ancient concept of Hell image.** In this section concept of the image of the ancient critics is discussed, and I referred to the first implication of the image mentioned in the ancient resources.
 - (2) **Modern concept of Hell image.** In this section the views of Arabs and Western world are deliberated upon. The most important approaches to address the image of the Hell are also discussed.
 - (3) **The importance of the Hell image.** In this section the importance of the image in the literal technicalities in general and in the Holy Quraan in particular are also clarified.
 - (4) **Hell and its implications.** In this section implications of the Hell mentioned in the old dictionaries are discussed along with the torment of the Hell and its intensity compared with other types of torment in the Day of Judgment.
 - b. **Chapter two: Components of the objective image.**
In this chapter the components for each technical rhetoric image discussed and is divided into two sections:
 - (1) **Dialogue.** This section deals with the concept of dialogue and the nature of that dialogue.
 - (2) **Torment.** In this section physical and mental Torment in the Hell is discussed.

c. **Chapter three: Syntax and Rhyming Methodology in the image of Hell.** This chapter is characterized with technical and rhyming merits within the image of Hell and is divided into three sections, which are:

- (1) **Vocabulary and Context.** In this section the proportion of the vocabulary with the meaning of consistency of the vocabularies forming a context is taken into account.
- (2) **Syntax Patterns.** In this section the technical characteristics in the image of Hell definiteness and indefiniteness and other functions of nouns and verbal sentences are discussed.
- (3) **Rhyming.** Rhyming and Quraanic verse splendid rhyming of Hell is identified. Differentiation in rhyming between scenes of Paradise and Hell is also discussed.

3. The thesis is concluded with important conclusions, which are:

- (a) Failure of some old and modern studies to address each image by itself except for what has been apart of a general subject.
- (b) The image in the Holy Quraan is a clear phenomena but it is short, brief, very indicative and suggesting.
- (c) The image in the Holy Quraan is an important element in the clarity of meaning.
- (d) The image in the Holy Quraan comes from far reaching aims and noble objectives and includes secrets and subtleties.
- (e) The style adopted in the Holy Quraan to clarify the image contains linguistic material of suggesting and rhetoric language that mankind cannot realize completely.
- (f) The musical rhyming is considered as an important element that impacts the recipient in terms of stick and carrot approach.